Marwan Mustafa RABAYA ¹

**DHUL-QARNAYN: THE CONQUEROR OF THE WORLD, HIS
REALITY AND HIS WORKS ACCORDING TO THE PEOPLE
OF INTERPRETATION AND HISTORY AND IN THE ARAB
LITERARY HERITAGE**

<http://dx.doi.org/10.47832/2717-8293.5-3.16>

Research Article

Received:

13/04/2021

Accepted:

09/05/2021

Published:

01/06/2021

This article has been
scanned by iThenticat
No plagiarism detected

Copyright © Published
by Rimak Journal,
www.rimakjournal.com

Rimar Academy, Fatih,
Istanbul, 34093 Turkey
All rights reserved

Abstract:

This study addresses the search in an effective and influential historical figures in human nodal, and moral and cultural, and was a prominent and dangerous in world history to attend, and in the three monotheistic religions, is heavenly, which is of centuries, or Alexander the Great of Macedonia, or other, with accounts of various, It is a personal aroused controversy and controversy around it, between historians and commentators, and even the writers of the Arabs, ancient and modern, and appeared for him studies, and numerous articles and scientific books, tried their authors, and worked hard to reach a determined, find out his name, and the reason for his title, and his time, came the study to reveal the depth of the crisis In recording and investigating, with the Arabs and Muslims, in the past and the modern, and to show the extent to which these classifiers deviate from the true goal of the Quran and the Qur'an, and the Holy Qur'an. Q, implanting belief in the souls.

Key words: Dhul-Qarnayn, The Arab Literary Heritage, History.

¹ Dr , University College of Educational Sciences, Jordan, rabayaasjal@gmail.com, <https://orcid.org/0000-0003-3185-5266>

ذو القرنين: فاتح الدنيا، حقيقته وأعماله عند أهل التفسير والتأريخ وفي التراث الأدبي العربي

مروان مصطفى ربابعة²

الملخص

تتصدى هذه الدراسة للبحث في إحدى الشخصيات التاريخية الفاعلة والمؤثرة في الإنسانية عقدياً، وحضارياً، وكانت لها حضور بارز وخطير في التأريخ العالمي، وفي الديانات السماوية الثلاث، وغير السماوية، وهو ذو القرنين، أو الإسكندر الأكبر المقدوني، أو غيره، بروايات شتى، وهي شخصية أثارت الخلاف والجدل حوله، بين المؤرخين والمفسرين، وحتى أدباء العرب، الأقدمين والمحدثين، وظهرت لأجله دراسات، ومقالات وكتب علمية عديدة، حاول مؤلفوها، واجتهدوا في أن يتوصلوا إلى تحديده، ومعرفة اسمه، وسبب لقبه، وعصره، فجاءت الدراسة لتكشف عمق الأزمة في التدوين، والتحقيق، عند العرب والمسلمين، قديماً وحديثاً، ولتبيّن مدى ابتعاد هؤلاء المصنفين عن الهدف الحقيقي لذكره في القرآن الكريم، وهي التأسّي وأخذ العبر والدروس، وعزس العقيدة في النفوس.

الكلمات المفتاحية: ذو القرنين، التأريخ، التراث الأدبي العربي.

المقدمة:

معلوم أن العرب والمسلمين قد تأخروا كثيراً في معرفة فن التأريخ، أو علمه، وما صاحب ذلك من قلة معرفتهم بالقراءة والكتابة، وعدم انبشارهما وذويوعهما، كل ذلك جعلهم يعتمدون، عندما تقدّم الزمن بهم، وأخذوا يصنفون، ويضعون اللبّات الأولى في التأليف في التفسير، والتصنيف في الحديث النبوي الشريف، وحتى في معرفة أخبار الماضين، على غيرهم من الأمم المجاورة لهم، خصوصاً أهل المعرفة بالنشاط الفكري والثقافي، مثل أهل الكتاب، والفرس، واليونان. وهذا أدى إلى أن تكثر الأخبار والحوادث عن الماضين، في مصنفات المفسرين والإخباريين والمؤرخين، على غير الحقيقة والصدق، وهي عبارة عن ثقل وروايات لم تحتكم إلى الأدلة والبراهين والوثائق الصحيحة، وهم قد دونوا ما يقبله العقل بما لا يقبله، ناهيك عن عدم الرواية المدققة والمحكمّة، فخلطوا الغث بالسمين، وقد وقعوا بالزلل، والأوهام، والضلال، من خلال قبولهم تلك النقول التي لا تستند إلى العقل والمنطق والدين، ورأوا في التوراة مصدرًا أساساً، أو يكاد يكون الوحيد (ابن خلدون، 2004).

ولهذا، جاءت الدراسة لتكشف مدى ما وقع به المفسرون والمؤرخون، وبغض الأدباء العرب القدماء، من ذلك الخلط والوهم في تدوينهم لأخبار الماضين، وفي اعتمادهم عليها في تفسير القرآن الكريم، بخدافه وعلاته، ولم يكن حديثهم عن ذي القرنين في أكثره إلا صرخاً من الخيال، وخرافات حيكت بأسلوب القصص والأساطير، ولم يسلم من ذلك المفسرون والمؤرخون المحدثون، فقد انزلوا فيما وقع به من سبقهم في أوج تدوين التاريخ، وانتشار تصانيف التفسير، وإن كانوا أكثر حذراً وخيطة من سابقهم. حيث خاضوا كما خاضوا، وأتوا بآراء استنتجوها، ووقفوا عندها، وأثبتوها كمسلمات وحقائق لا ترد ولا تناقض من قبل غيرهم.

وقد توزعت الدراسة على ثلاثة مباحث، وكلّ مبحث يشتمل على مطالب توزع على كلّ مبحث، وأردفت بخاتمة كشفت عن أبرز ما توصلت إليه الدراسة، مع ثبّت بالمصادر والمراجع التي استعانت بها.

المبحث الأول: ذو القرنين عند المفسرين الأقدمين والمحدثين، شخصيته وأعماله

المطلب الأول: ذو القرنين عند المفسرين المسلمين الأقدمين

عرف المسلمون أسباب نزول السور القرآنية، ومكان نزولها وزمانها، في مكة أو في المدينة، لئلا أو نهآزاً، وأصبح ذلك من علوم القرآن التي صبغت فيها علماء المسلمين، وذكروا سبب نزول سورة الكهف التي اشتملت على قصة ذي القرنين مع غيرها من القصص: أهل الكهف، وموسى والخضر، وأصحاب الجنة، بأن اليهود قد سألوا النبي، عليه الصلاة والسلام، وقيل: إن الذين سألوا هم مشركو مكة بإيعاز أو بأمر من اليهود لاختبار نبوته، وإخراجه، وقيل: إن السائل هو أبو جهل وأتباعه، عن فتية فقدوا، ورجل طاف الأرض وغلب على أهلها، أو عن نبي لم يذكر في التوراة عندهم، ولم يدكروا اسمه،

² د. ، الكلية الجامعية للعلوم التربوية، الأردن، rabayaasjal@gmail.com

وفي ذلك دلالة على عدم معرفتهم لاسميه، لأنهم لو كانوا يعرفون لأصروا وتخذوا النبي في ذلك، وكذلك كان سؤالهم عن أخباره وليس عن ذاته وكُنْهه، لأن الله قد ذكر "فل سألوا عنك منه ذكراً" {القرآن الكريم، الكهف: آية 83}، وهذا ما لم يورده المفسرون، ولم يناقشوه، وعن الروح، وجاء الرد على هذه الأسئلة الثلاث بزول سورة الكهف (الطبري، 2001؛ الرمخشري، د.ت.؛ الرازي، 1981؛ السيوطي، 2011).

ويبدو أن المفسرين القدماء لم يتفقوا على رواية واحدة في معرفة سبب نزول سورة الكهف، والمكان الذي كان سؤالهم عنها، هل في مكة، أو في المدينة، رغم حداثة هذه الرواية، ولم تكن ضمن الأحداث الموعلة في القدم، ويظهر من قوله تعالى: "ويسألونك عن ذي القرنين" {الكهف: آية 83}، أن السائلين هم أهل قريش؛ لأن فعل السؤال جاء بصيغة الحاضر المتجدد والمستمر، والأصح أن يكون السؤال منهم، وفيها يبدو أن الإجابة عن استفسارهم قد تأخرت، لدلالة الفعل الحاضر في سؤالهم، ولا شك في أنهم كانوا مسرورين في تأخرها؛ لإخراج النبي. ولا نجد من يُخبرنا بما حدث بعد إجابة الرسول، عليه السلام، عن استفسار اليهود أو بعض أهل مكة المشركين؛ لأن بعض الروايات قد قالت: إذا أخبركم محمد عن هذه الأسئلة الثلاث فهو نبي، وصدقوه، وهذا يُعزى، بلا شك، إلى العيب والاضطراب في دقة النقل وتمحيصه، فكيف سيتفق المفسرون على تحديد هوية ذي القرنين وحقيقته! وقد أسهبوا في الحديث عن سبب النزول، وتوسعت نقاشاتهم، وخلافهم، إما بقولهم: قيل، وإما يقال، وإما يُنهون تلك الآراء بعبارة "والله أعلم".

وبعد اختلاف المفسرين في ضبط رواية دقيقة وصحيحة موثوقة، عن سبب نزول سورة الكهف، وسؤالهم عن الرجل الطواف أو الذي طاف في الأرض، أو عن نبي لم يذكر اسمه في التوراة، فقد تشعبت آراؤهم أكثر، وتعمقت هوة الخلاف بينهم عن شخصية ذي القرنين، وتحديد اسمه، ومنهم من كان حذراً في تحديده، ولم يحضره في شخص واحد، ولم يثبت فيه.

ونجد من المفسرين القدماء من اكتفى بأنه شاب من الروم، واعتمد فقط على نقل رواية واحدة أساسها عقبة بن عامر؛ إما لأنه كان موضوعياً في تفسيره، وإما لشكه بهذه الروايات، ومنهم من رأى رأي المدقق والباحث والمستدل، في أنه الإسكندر المقدوني، ويدافع عن فكرته، رغم تلمذته على أرسطو الفيلسوف، ولا يمنع ذلك، ومنهم من ينقل ولا يزد رواية، أو يصدقها، ولا رأي مستقل له، ولا مقام هنا يتسع لإيراد كل أقوال المفسرين القدماء، لأنهم اعتمد لاجلهم على سابقهم، ومنهم من التمس عليه الاسم، وذكر أكثر من اسم لذي القرنين، وإن تشابهت الأسماء، وهناك من رفض أقوال غيره، وفنّدها بما لديه من ملكة الاستدلال، والاستنتاج، والتوحي في النقل، وامتناع الرؤية الناقدة، وهناك من اعتقد أنه عربي، وأنه من حمير، واحتلوا في اسمه أيضاً، وذكروا أسماء كثيرة، ومنهم من لم يذكر اسمه، أو نقل آراء في ذلك (مقاتل، 2002؛ ابن عباس، 1992؛ الطبري، 2001؛ الرمخشري، د.ت.؛ الرازي، 1981؛ الألوسي، 1978؛ الأندلسي، 2010؛ ابن كثير، د.ت.؛ الإيجي، 2004؛ القرطبي، 2006؛ العلمي، 2009؛ الثعلبي، 2004).

وكل الروايات التي ساقها المفسرون القدماء جاءت من الإسرائيليات، ومن رواة كانوا من أهل الكتاب وأسلموا، ولم يزدوها، ولم يكدبوها، لا لشيء إلا لافتقار المفسرين لمصادر موثوقة، أو لجهلهم في معرفة أخبار الأمم الماضية، حتى الذين ذكروا أنه عربي من حمير، فلم نجد العرب يتفقون على معرفته، قبل الإسلام وبعده، وهم أولى الناس بعلم أخبار اليمن وأهلها، ولم يتفقوا على رواية واحدة صحيحة ومؤترة، عن الرسول، عليه الصلاة والسلام، أو على الصحابة الذين كانوا ملازمين لرسولهم، فتشابهت عليهم الأمور، وتأهوا في مسميات لذي القرنين لا طائل منها، حتى بلغت أسماؤه أكثر من عشرة أعلام، بُيئت على أوهام الرواة وأخيلتهم غير المحدودة، وهو مما جعل تصانيف التفاسير تصل إلى مجلدات وموسوعات، لا تستند إلى الروح العلمية الناقدة، في أغلبها.

واختلف المفسرون، كذلك، في حقيقة ذي القرنين، من حيث إنه نبي، أو ملك، أو عبد صالح، أو ملك أنزله الله تعالى إلى الأرض، ولم تكن آراؤهم في ذلك عن بيّنة، ولا عن موضوعية، وإنما هي مجرد نقول وأقوال، أبعد ما تكون عن الصواب، أو المنطق والعقل، إن لم تكن بعضاً من الأساطير والخرافات، فهي حشو واستزادة لا تعود بالنفع لمريد أو طالب حقيقة، أو معلومات تزاح لها النفس الباحثة بالأدلة والبراهين. فرى من يورد أنه نبي أو رسول، بما فهمه من ظاهر النص القرآني: "قلنا يا ذا القرنين إما أن تعذب وإما أن تتخذ فيهم حسناً" {القرآن الكريم، الكهف: آية 86} بمعنى أن الخطاب من الله لذي القرنين وحياً أو إلهاماً.

ومنهم من نفى أن يكون نبياً، بقوله: "وقال علي بن عيسى: المعنى قلنا يا محمد: قالوا يا ذا القرنين، ثم حذفت القول الأول لأن ذا القرنين لم يصح أنه نبي فيخاطبه الله، وعلى هذا يكون الضمير الذي في "قالوا" المحذوفة يعود على جنده وعسكره الذين كانوا معه". (الأندلسي، 2010، 6/151).

وهذا قول يجوز فيه القبول والرفض؛ لأنه مبني على رأي قابل للنقاش والرد. وهناك من رأى أنه ملك أعطاه الله التمكين في الأرض، وأمدّه بالمال والسلاح والجند، وهناك من ينقل آراء عن الصحابة بأنه عبد صالح أوتي من كل شيء، مكنه من الفتوح وقهر أهل الأرض، ومن أغرب الأقوال ما قيل: إنه ملك نزل من السماء، وطاف في الأرض، عن طريق روايات تقتقد إلى الصحة والتدقيق، ولا يقبلها ذوو البصائر، وهي رواية ضعيفة لم يثبت لها دليل قاطع شاف.

وَرَعْمَ اخْتِلَافَاتِ الآرَاءِ فِي حَقِيقَةِ ذِي الْقَرْنَيْنِ، فَلَا مَانِعَ مِنْ أَنْ يَكُونَ أَحَدُ الآرَاءِ صَحِيحًا، مَا دَامَ ذَلِكَ ضِمْنَ الْعَيِّيَّاتِ الَّتِي لَمْ تُكْشَفْ بِنَصِّ ظَاهِرٍ وَقَاطِعٍ. وَاجْتِهَادَاتُ الْمُفَسِّرِينَ لَمْ تُسْفِرْ عَنْ وَصُولٍ إِلَى الرَّأْيِ الْكَافِي وَالشَّافِي، وَظَلَّتْ نَقُولًا وَآرَاءً تُعَوِّزُهَا الْأَدَلَّةُ وَالْبَرَاهِينُ، وَهَذَا مَا لَمْ يَهْتَدُوا إِلَيْهِ.

وَفِي حَدِيثِ قُدَمَاءِ الْمُفَسِّرِينَ عَنْ سَبَبِ تَسْمِيَّتِهِ، أَوْ لَقَبِهِ بِذِي الْقَرْنَيْنِ، فَقَدْ أَشْهَبُوا، أَيْضًا، فِي ذَلِكَ، وَرَاحُوا يُنَاقِشُونَ الْأَسْبَابَ وَالِدَوَاعِي لِذَلِكَ، دُونَ الْوُقُوفِ عِنْدَ سَبَبٍ وَاحِدٍ لِلْقَبِيهِ، وَنَجَدُ فِي كُتُبِ التَّفَاسِيرِ الْقَدِيمَةِ أَحَدَ عَشَرَ سَبَبًا لِلْقَبِ، وَمِنْ الْمُفَسِّرِينَ مَنْ رَدَّ أَغْلَبَهَا وَرَفَضَ مُعْظَمَهَا؛ لِأَنَّهَا لَا تُسْتَدِّدُ إِلَى دَلِيلٍ ثَابِتٍ، أَوْ مُنْطِقٍ مَعْقُولٍ، كَبُرُوزِ قَرْنَيْنِ لَهُ، أَوْ صَفْحَتَيْنِ رَأْسِهِ مِنْ نُحَاسٍ، أَوْ عَلَيْهَا قَرْنَانِ، أَوْ لِأَنَّهُ كَرِيمٌ النَّسَبِ مِنْ جِهَةِ الْأَبِّ وَالْأُمِّ، أَوْ لِصَفِيرَتَيْنِ مِنْ شِعْرِهِ فِي الْيَمِينِ وَالْيَسَارِ مِنْ رَأْسِهِ، أَوْ لِأَنَّهُ بَلَغَ قَرْنِي الدُّنْيَا أَوْ قَرْنِي الشَّمْسِ، أَوْ لِشَجَاعَتِهِ، وَالْقَرْنُ يَعْنِي الْكِبْشَ الشَّجَاعَ، وَمَا إِلَى ذَلِكَ مِنَ الْأَسْبَابِ (الطبري، 2001؛ الأندلسي، 2010؛ القرطبي، 2006؛ الألوسي، د.ت.).

وَهَذِهِ الْأَسْبَابُ مَرَدُّهَا التَّفْسِيرُ اللُّغَوِيُّ لَهَا، فَجَاءَتْ الْأَسْبَابُ مُتَعَدِّدَةً لِتَعْدُدِ الْمَعَانِي الْمُخْتَلِفَةِ لِلْفُظَّةِ الْقَرْنِ فِي الْمَعَاجِمِ الْعَرَبِيَّةِ، وَهُوَ مِمَّا خَاضَ بِهِ الْمُفَسِّرُونَ وَالْمُؤَرِّخُونَ الْمُحَدَّثُونَ، كَمَا سَيَأْتِي لِاحِقًا، وَيَبْدُو أَنَّهُ لَا شَيْءَ فِي السِّيَاقِ الْقَرَأَنِيِّ يَزْجِحُ سَبَبًا عَلَى سَبَبٍ آخَرَ؛ مَا جَعَلَ الْمُفَسِّرِينَ يَذْكُرُونَهَا كُلَّهَا، وَهَذَا مِمَّا يُشْثِتُ الْأَذْهَانَ، وَيُبْعِدُنَا عَنْ حَقِيقَةِ الْأَسْبَابِ، وَلَوْ أَنَّهُمْ اكْتَفَوْا بِرَدِّ ذَلِكَ إِلَى عِلْمِ اللَّهِ لَكَانَ أَكْثَرَ صَوَابًا، وَأَقْلَّ جَدَالًا وَنِقَاشًا. أَوْ لَوْ أَنَّهُمْ رَدُّوا سَبَبَ اللَّقَبِ إِلَى مَعْنَى الْقُوَّةِ وَالْجَبَرُوتِ لَكَانَ أَسْلَمَ لَهُمْ، وَأَقْرَبَ إِلَى الْوَاقِعِيَّةِ فِي التَّعْلِيلِ؛ إِذْ رُبَّمَا أَرَادَ اللَّهُ، سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، أَنْ يَكُونَ لِقَبِهِ أَكْثَرُ تَوْفِيقًا وَدِقَّةً مِنْ اسْمِهِ، فَكَانَ لِقَبُهُ يَعْكُسُ حَقِيقَتَهُ وَأَفْعَالَهُ.

وَعَنْ أَعْمَالِهِ، وَفُتُوحاتِهِ، قَدْ أَكْثَرَ قُدَمَاءُ الْمُفَسِّرِينَ فِي ذَلِكَ، وَفِيهَا مَا لَا يَمْتُّ لِلْحَقِيقَةِ بِصِلَةٍ، وَمِنْهَا مَا جَاءَ نَصُّهُ ظَاهِرًا فِي الذِّكْرِ الْحَكِيمِ، لِعَبَثِ الرُّوَاةِ فِيهَا، وَلِقَلَّةِ مَا فِي أَيْدِي الْمُفَسِّرِينَ مِنْ أَدَلَّةٍ وَنُقُولٍ صَحِيحَةٍ، فَأَغْلَبُ رِوَايَاتِ أَعْمَالِ ذِي الْقَرْنَيْنِ جَاءَتْ مِنْ مَصَادِرٍ إِسْرَائِيلِيَّةٍ، دُسَّتْ فِي تَصَانِيفِ التَّفْسِيرِ، وَتَلَقَّفَهَا الْمُفَسِّرُونَ دُونَ تَرَوُّ وَتَمَحْصِيصٍ، لِأَنَّ مَا يُعَوِّزُهُ الدَّلِيلُ الْقَاطِعُ لَا يَجُوزُ أَخْذُهُ بِحُذَافِيرِهِ مِمَّا لَا يُوْتَقُّ بِهِ، وَإِلَّا مَا اتَّسَعَتْ الْأَقْوَالُ، وَكَثُرَتْ فِيهَا لَا يَقْبَلُهُ الْعَقْلُ، وَتَأْبَاهُ قَرِيبَةُ الْمُحَقِّقِينَ، مِثْلَ دَخُولِهِ بَحْرَ الظُّلُمَاتِ، أَوْ رِبْطِ خُبُولِهِ بِالنُّجُومِ، أَوْ أَنَّ الْخَضِرَ كَانَ قَدْ سَبَقَهُ إِلَى شُرْبِ مَاءِ الْخُلُودِ، وَلَمْ يُعْلِمْهُ بِذَلِكَ، وَلِذَلِكَ يَدَّعُونَ أَنَّهُ مَا زَالَ حَيًّا إِلَى الْآنَ، أَوْ حَدِيثِ الرُّوَاةِ الَّذِي نَقَلَهُ الْمُفَسِّرُونَ عَنْ يَاجُوجَ وَمَاجُوجَ مِنْ أَنَّهُمْ بَشَرٌ لَبِسُوا مِثْلَنَا، مُتَوَحِّشُونَ وَيَفْتَرِشُونَ إِحْدَى أَذْنَيْهِمْ وَجَعَلَ الْآخَرَى غِطَاءً لَهُمْ، وَكَذَلِكَ مَا تَرَدَّدَ مِنْ أَنَّهُ عَاشَ طَوِيلًا، إِذْ بَلَغَ عُمُرُهُ عِنْدَ بَعْضِهِمْ أَلْفِي عَامٍ، وَأَنَّهُ كَانَ عَلَى رَمَنٍ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَأَنَّهُ التَّقَى بِهِ، وَأَسْلَمَ عَلَى يَدَيْهِ، وَطَافَ بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ، أَوْ أَنَّ مَلَكًا قَدْ صَعَدَ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ. وَأَمَّا بِنَاؤُهُ لِلرَّدْمِ فَلَا خِلَافَ فِي ذَلِكَ بَيْنَ الْمُفَسِّرِينَ يَكَادُ يَكُونُ؛ لِكَشْفِ الْقِرَآنِ ذَلِكَ (الطبري، 2001؛ الزمخشري، د.ت.؛ ابن كثير، د.ت.).

وَمَعْلُومٌ أَنَّ كَثِيرًا مِنْ قُدَمَاءِ الْمُفَسِّرِينَ قَدْ رَفَضُوا رِوَايَاتٍ عَدِيدَةً مِنَ الْإِسْرَائِيلِيَّاتِ، الَّتِي لَا يَخْفَى عَلَى ذِي بَصِيرَةٍ، عَدَمُ تَصَدِيقِهَا وَالْإِعْتِرَاضُ عَلَيْهَا، فَهِيَ مِمَّا يَنْبُو عَنْ الْوَاقِعِيَّةِ، وَتَقَعُ فِي دَائِرَةِ الشَّكِّ، وَرَعْمَ ذَلِكَ قَدْ وَقَعُوا فِيهَا حَذَرًا مِنْهُ، وَتَبَّهُوا، مَعَ مَعْرِفَةِ بَعْضِهِمْ بِالرَّجَالِ الرُّوَاةِ، وَالْقُدْرَةِ عَلَى الْحُكْمِ الصَّحِيحِ فِي النُّقُولِ وَالرِّوَايَاتِ، فَلَمْ تَسْلَمْ أَقْوَالُهُمْ مِنْهَا، وَلَمْ تَخُلْ مُصَنَّفَاتُهُمْ مِنْ تَرْدِيدِهَا وَالْخَوْضِ فِيهَا، وَمَا هِيَ إِلَّا صَرَبٌ مِنَ الْعَبَثِ لَا طَائِلَ مِنْهُ، وَانْجِرَافٌ عَنِ الْغَايَةِ الْكَبِيرَةِ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ لِتِلْكَ الْقِصَصِ، سَبَبُهُ التَّسَاهُلُ فِي النَّقْلِ، وَشَغَفُ الْمُفَسِّرِينَ فِي مَعْرِفَةِ مَا أَجْمَلَهُ الْقِرَآنُ وَلَمْ يُفَصِّحْ عَنْ تَفْصِيلَاتِهِ، فَزَوَّاهَا دُونَ سَنَدٍ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ، عَلَيْهِ السَّلَامُ (الذهبي، 2000).

المطلب الثاني: ذُو الْقَرْنَيْنِ عِنْدَ الْمُفَسِّرِينَ الْمُحَدَّثِينَ

انْتَهَجَ كَثِيرٌ مِنَ الْمُفَسِّرِينَ الْمُحَدَّثِينَ طَرِيقَةً قُدَمَاءِ الْمُفَسِّرِينَ فِي تَنَاوُلِهِمْ شَخْصِيَّةَ ذِي الْقَرْنَيْنِ، وَكَانَ عَزْضُهُمْ يَقُومُ عَلَى سَرْدِ الآرَاءِ وَنَقْلِهَا، مِنْ السَّابِقِ إِلَى الْلاحِقِ، وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ لَمْ يُضِفْ شَيْئًا ذَا بَالٍ، أَوْ إِنْجَارًا مُهِمًّا، فِي تَبْيَانِ حَقِيقَةِ ذِي الْقَرْنَيْنِ، أَوْ تَعْيِينِ رَحَلَاتِهِ الثَّلَاثَةِ، وَلَا حَتَّى تَفْسِيرِ مَعْنَى "التَّمْكِينِ" لَهُ، فَمَا كَانَتْ آرَأُهُمْ إِلَّا مُجَرَّدَ نَقُولٍ، أَوْ أَقْوَالٍ زَادَتْ فِي تَضْئِيفَاتِهِمْ، وَسَعَةِ مُؤَلَّفَاتِهِمْ، وَلَمْ يَلْتَقُوا فِي آرَائِهِمْ عَلَى قَوْلٍ وَاحِدٍ، حَتَّى فِي تَحْقِيقِهِمْ مِنْ مُنَاسَبَةِ نَزُولِ سُورَةِ الْكَهْفِ نَفْسِهَا، وَإِنَّمَا نَثَرُوا أَقْوَالَ الْقُدَمَاءِ مِنَ الْمُفَسِّرِينَ، وَظَلَّتْ هِيَ اجْتِهَادَاتُ لَا يَدْعُمُهَا دَلِيلٌ قَاطِعٌ يَحْسُنُ السُّكُوتَ عَلَيْهِ، وَلَا فَائِدَةً مِنْ إِعَادَةِ أَقْوَالِهِمْ، حَوْلَ أَسْبَابِ نَزُولِ السُّورَةِ، وَقِصَّةِ ذِي الْقَرْنَيْنِ الْمُتَضَمَّنَةِ فِيهَا، وَلَمْ يَخُضْ كَثِيرٌ مِنْهُمْ فِي جِدَالٍ بِهَا (العثيمين، 1423؛ قطب، 2003؛ الشعراوي، 1999؛ مغنية، 2005).

وَلَمْ يَجِدِ الْمُفَسِّرُونَ الْمُحَدَّثُونَ بُدًّا مِنْ أَنْ يَتَنَاوَلُوا شَخْصِيَّةَ ذِي الْقَرْنَيْنِ، وَاسْمَهُ، وَحَقِيقَتَهَا، كَمَا تَنَاوَلَهَا قُدَمَاءُ الْمُفَسِّرِينَ، فَأَعَادَ أَغْلَبُهُمْ آرَاءَ السَّابِقِينَ، وَأَقْوَالَهُمْ، مِنْ حَيْثُ اسْمُهُ، وَحَقِيقَتُهُ، وَأَعْمَالُهُ، وَمِنْهُمْ مَنْ تَحَرَّجَ فِي تَأْكِيدِ هُوِيَّتِهِ وَإِبْثَاتِ اسْمِهِ، وَهَنَّاكَ مَنْ عَدَّ ذَلِكَ مِنَ الْعَيِّيَّاتِ الَّتِي اسْتَأْثَرُ اللَّهُ عِلْمَهَا لِنَفْسِهِ، وَلَمْ يُطْلِعْ أَحَدًا عَلَيْهَا، فَوَقَفَتْ أَكْثَرُهُمْ عِنْدَ ذَلِكَ، وَلَمْ يُثِرْ جَدَالًا، أَوْ حَوْضًا فِيهَا لَا طَائِلَ مِنْهُ، وَكَثُرَتْ بِأَنْ رَدَّدَتْ: لَوْ أَنَّ اللَّهَ أَرَادَ أَنْ يُظْلِعَنَا عَلَى حَقِيقَةِ اسْمِهِ، أَوْ رَحَلَاتِهِ الْمَجْهُولَةِ لِأُظْلِعْنَا عَلَيْهَا، وَقَدْ عُدَّتْ مِنْ عِلْمِ اللَّهِ وَحْدَهُ، رَعْمَ أَنَّهُمْ ذَكَرُوا آرَاءَ وَأَقْوَالَ لِمَنْ سَبَقُوهُمْ مِنَ الْمُفَسِّرِينَ وَالْمُؤَرِّخِينَ الْأَقْدَمُونَ، فَقَالُوا: هُوَ الْإِسْكَندَرُ الْمَقْدُونِيُّ، أَوْ الْإِسْكَندَرُ الَّذِي كَانَ عَلَى رَمَنٍ

إبراهيم، عليه السلام، أو كوروش الإخميني الفارسي، أو عربي من حمير، وانتهى أكثرهم إلى أن ذلك مما لا ينبغي التكريز عليه، عند تناول التفسير، والأهم هو الغاية من ذكر الله، سبحانه وتعالى، لِقَصِّته، وهو ضرب الأمثال، والافتداء بالملك الصالح العادل، في أي زمان ومكان، فذو القرنين، عند هؤلاء المفسرين، هو النموذج الصالح الذي ينبغي أن تكون عليه هيئة الملوك في الدنيا كلها، ماضيها وحاضرها ومستقبلها، وبه يُقتدى (العثيمين، 1423؛ قطب، 2003؛ الشعراوي، 1991؛ مغنية، 2005).

وهذا ما جعل أحد المفسرين المحدثين يرفض فكرة الشخصيات والتخديد بقوله: "ولو حدد القرآن هذه الشخصية في الإسكندر أو قورش أو في غيرهما، لقُلنا: إنه حدث فردي لا يتعدى هذا الشخص، وتنفرد النفس عن الأسرة به، وتفقد القصة مغزاها وتأثيرها، ولو كان في تعيينه فائدة لنا لعينه الله لنا" (الشعراوي، 1991، ص 8976).

وربما تكون قصة ذي القرنين واسمه أو لقبه، معروفتين عند من سأل عنه، وهذا هو الغالب، إذ إن اليهود لم يأتوا على ذكره من فراغ، وربما كان علمهم عنه قليلاً، فأرادوا من سؤالهم التفصيلات؛ لأن سؤالهم كان اختياراً واعجاًزاً للرسول، عليه السلام، لذا يقول بعض المفسرين المحدثين: "إن بداية الآية تُبين لنا أن قصة "ذي القرنين" كانت متداولة ومعروفة بين الناس، ولكنها كانت محاطة بالغموض والإنهام، لهذا السبب طالبوا الرسول الأكرم، صلى الله عليه وسلم، الإذلاء حولها بالتوضيحات اللازمة" (الشيرازي، 2013، ج 14 ص 513).

ومن الدارسين من يزعم عدم ذكر بعض الأسماء في القرآن الكريم، إلى خصوصية الشخصية، واستقلالها بالحدث الخاص بها، فهي عنده قصة لا تتكرر على مدى الدهور والأزمان، فيقول: "أما عدم ذكر الأسماء في الذكر الحكيم، نصاً وقصصاً، ما عدا مزيم بنت عمران، فيبدو أن قصته مزيم ودورها، كغصن شخصي في القصص القرآني، جاءت ضمن أحداث وإطار كان يستوجب ظهور اسمها؛ نظراً لموقف المجتمع منها، وبعد البراءة شاعت العناية الإلهية أن تبرز اسمها؛ لتكون علامة للعفة والطهر، بينما زلخه وبلقيس كانتا ترمزان إلى المرأة بشكل عام، وسلوكهما يمكن أن يُعمم ويُحدث كثيراً على مر التاريخ، ولم يكن به مجال للخوارق كما حصل مع مزيم" (الدولات، 1996، ص 112).

وهذا كلام إن جار في حالة، فلا يُعمم مع جميع الشخصيات التي لم تُذكر أسماؤها في القرآن الكريم؛ لأن هناك كثيراً من الشخصيات التي وردت في القرآن الكريم، لها خصوصياتها وأفرادها، وربما لا تتكرر إلا بعلم الله وقدرته، فحواء لم يُذكر اسمها، وفي خلقها شأن عظيم، وهي المخلوق البشري الثاني بعد آدم عليه السلام، وحتى لم تأخذ حظاً كبيراً في القصص القرآني، ولم تستقل بحدث واحد مستقل إلا مرتبطة بآدم، عليه السلام، وغيرها كثير.

وكذلك لم يصل المفسرون المحدثون إلى رأي ثابت، وقول قاطع، حول سبب تسميته، أو لقبه بذي القرنين، فكانوا يوردون أقوال المفسرون السابقين، وكانوا يميلون إلى بعض الآراء، كما مال إليها من سبقهم من أهل التفسير، دون حجة دامغة، ولا دليل يحسن السكوت عليه، ولا أعماله، ولا حقيقته، أنبأ كان، أم ملكاً، أم عبداً صالحاً، أم ملكاً من الملائكة، أنزله الله إلى الأرض؟ كل ذلك ظل اجتهادات وآراء، أخذوها ممن سبقهم من المفسرين والمؤرخين القدماء، ووصل أغلبهم إلى قناعة بأن الله قد استأثر لنفسه العلم التام بحقيقته وأخباره.

وجملة القول، وخلاصته: إن جل أقوال المفسرين المحدثين كانت نقاشات ردوا أكثرها، بالرفض أو العزوف، ومن ثم رد ذلك كله إلى علم الله وحده؛ وجعلوا ذلك خوفاً من الوقوع في الزلل والاثام، فظل معظمهم حزين كل الحذر من الإذلاء بأقوال تزدد عليهم، وتُحسب عليهم لا لهم، وهذا عمل صائب، فلا عتارف بالعجز أولى من الجُرأة التي تؤدي إلى الباطل في الأحكام والنتائج. والأهم من ذلك كله أن لا طائل يُرجى، ولا فائدة يتوصل إليها من معرفة أشياء لا يُجنى إلا التعب ومشقة البحث معها، كما فعل كثير منهم في عصرنا الحالي.

المبحث الثاني: ذو القرنين عند المؤرخين الأقدمين والمحدثين، اسمه، حقيقته، أفعاله المطلب الأول: ذو القرنين عند المؤرخين الأقدمين

كان المؤرخون الأقدمون يسرون على خطى المفسرين، ويتجهجون نهجهم، وإن كان المؤرخ نفسه مفسراً وروياً للأحداث النبوية، فلم تكن تلك العلوم قد استقلت عن بعضها بعضاً، وظلت كذلك مدة طويلة، يكون فيها العالم موسوعياً، ولذا لم تسلم كتابات المؤرخين، ولا أخبارهم وروايتهم من عتبات الرواة، ولا من الإسرائيليات، أو من كونها قصصاً شعبية، أو من أشعار لا يُعتمد بصحتها، لاعتماد المؤرخين الأقدمين على هذه المصادر، وذلك لشح الروايات الدقيقة والصحيحة عند بداية التدوين التاريخي، نحو السيرة النبوية وفتوح البلدان والمغازي، التي شابتها الغث والسمن، والمعقول واللامعقول (الدوري، 2000).

وعند الحديث عن "ذي القرنين"، لم يستقر مؤرخ من مؤرخي المسلمين والعرب الأقدمين، على رأي واحد، أو حقيقة ثابتة، تخص اسمه ونسبه، أو حقيقته، فما أراؤهم إلا نقولات وأقوال اختلفوا إليها من خلال الرواة والإخباريين من أهل الكتاب، أو استندوا إلى أحاديث نبوية انتابها الضعف وعدم الدقة، والتثبت، فأوردوا أسماء لذي القرنين كثيرة، مثل: الإسكندر المقدوني، أو الرومي، أو عربي من حمير، أو هو هرمس بن ميطون بن رومي، أو هو رجل من أهل مصر، وحاولوا

أَنْ يُؤَيَّدُوا رَأْيًا عَلَى حِسَابِ رَأْيٍ آخَرَ، وَلَكِنْ دُونَ الْمَجِيءِ بِالْأَدْلِيلِ الْقَاطِعِ وَالْيَقِينِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَذْكُرُ اسْمَهُ نَصًّا صَرِيحًا دُونَ إيرادِ أقوالٍ أخرى (ابن هشام، 1995؛ اليعقوبي، 1964؛ الطبري، د.ت؛ ابن الكلبي، د.ت؛ ابن الأثير، 1987؛ ابن كثير، 1990).

وَمَنْ يُطَالِعَ آراءَ بَعْضِ الْمُؤَرِّخِينَ الْأَقْدَمِينَ، يَجِدُهُمْ يُدْلُونَهَا بِحَذَرٍ شَدِيدٍ، وَبَعْدَ انْدِفَاعٍ إِلَى تَأْكِيدِ الرَّأْيِ الْوَاحِدِ، أَوْ التَّمَثُّرِ خَلْفَهُ، أَوْ الْإِفْصَاحِ بِاسْمِهِ صَرَاحًا، وَإِنَّمَا يَسُوقُ أَخْبَارًا يَنْقُلُهَا عَنْ غَيْرِهِ، وَكَأَنَّهُ يُلْقِي عَدَمَ دِقَّتِهَا إِلَى الزُّوَاةِ، أَوْ إِلَى قِصَصِ شُعْبِيَّةٍ خُرَافِيَّةٍ، لَا تَمُتُ إِلَى الصَّحَّةِ وَالتَّثَبُّتِ بِشَيْءٍ، وَلَكِنْ دُونَ رَفْضِهَا أَوْ قُبُولِهَا صَرَاحًا، وَهَذَا لَا يُعْفِيهِ مِنْ إيرادِها، وَالخَوْضُ فِيهَا، فَهُوَ يَعْلَمُ مَا فِي كُتُبِ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ زَيْفٍ وَعَبَثٍ زُورَةٍ، هُمْ أَقْرَبُ إِلَى التَّكْذِيبِ، أَوْ عَدَمِ التَّبَعِيَّةِ فِي تَصْديقِهَا (الطبري، د.ت).

وَهُنَاكَ مِنَ الْمُؤَرِّخِينَ الْأَقْدَمِينَ الَّذِينَ كَانُوا أَكْثَرَ قُرْبًا إِلَى الْإِتِّجَاهِ الْعِلْمِيِّ وَالتَّهْدِي فِي الْبَحْثِ وَالاسْتِيفَاءِ وَالاسْتِدْلَالِ، فِي تَنَاوُلِهِمْ شَخْصِيَّةَ ذِي الْقَرْنَيْنِ مِنْ جَمِيعِ الْوُجُوهِ، وَقَدْ كَانَ مُوَفَّقًا إِلَى حَدٍّ بَعِيدٍ، قِيَاسًا إِلَى غَيْرِهِ مِمَّنْ عَرَضُوا قِصَّةَ ذِي الْقَرْنَيْنِ، مَعَ مَزْجِ التَّارِيخِ بِالتَّفْسِيرِ؛ لِأَنَّهُ كَانَ مُفَسِّرًا وَمُؤَرِّخًا، فِي الْوَقْتِ نَفْسِهِ، فَبَعْدَ أَنْ يُورِدَ أَسْمَاءَ ذِي الْقَرْنَيْنِ، وَخُصُوصًا " الْإِسْكَندَر " وَتَبَتَّعَ نَسَبَهُ الظُّوْلِي، كَيْ يَكُونَ مُقْنِعًا لِلْقَارِئِ وَالدَّارِسِ لِإِرَائِهِ، فَيَقُولُ: "وَأِنَّمَا نَبَّهْنَا عَلَيْهِ؛ لِأَنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ يَعْتَقِدُ أَنَّهَا وَاحِدٌ، وَأَنَّ الْمَذْكُورَ فِي الْقُرْآنِ هُوَ الَّذِي كَانَ أَرَسْطَالِسُ وَزِيرُهُ، فَتَقَعُ بِسَبَبِ ذَلِكَ خَطَأٌ كَبِيرٌ، وَفَسَادٌ عَرِضٌ طَوِيلٌ كَثِيرٌ، فَلَاوُلَّ كَانَ عَبْدًا مُؤْمِنًا صَالِحًا، وَمَلِكًا عَادِلًا، وَكَانَ وَزِيرُهُ الْخَضِرُ، وَقَدْ كَانَ نَبِيًّا عَلَى مَا قَرَّرْنَاهُ، قَبْلَ هَذَا. وَأَمَّا الثَّانِي فَكَانَ مُشْرِكًا، وَكَانَ وَزِيرُهُ فَيْلَسُوفًا، وَقَدْ كَانَ بَيْنَ زَمَانَيْهِمَا أَزِيدٌ مِنْ أَلْفِي سَنَةٍ، فَأَيُّنَ هَذَا مِنْ هَذَا لَا يَسْتَوِيَانِ، وَلَا يَشْتَبِهَانِ إِلَّا عَلَى غَيْبٍ، لَا يَعْرِفُ حَقَائِقَ الْأُمُورِ " (ابن كثير، 1990).

وَرَغِمَ اجْتِهَادِ ابْنِ كَثِيرٍ، وَدِقَّتِهِ فِي التَّحَرِّيِ وَالاسْتِدْلَالِ، فَإِنَّهُ، لَا يَصِلُ إِلَى رَأْيٍ ثَابِتٍ وَقَطْعِيٍّ، فَهُوَ يَنْفِي أَنْ يَكُونَ " ذُو الْقَرْنَيْنِ " الْإِسْكَندَرُ الْمَقْدُونِي، بَلْ يَرْفُضُ رَفْضًا قَاطِعًا هَذَا الرَّأْيَ، وَيَمِيلُ إِلَى أَنَّهُ عَرَبِيٌّ مِنْ حِمَيْرٍ، أَوْ رَجُلٌ قَدِيمٌ تَسْمَى الْإِسْكَندَرُ الثَّانِي بِاسْمِهِ، وَلَا يَخْتَلِفُ بِذَلِكَ عَنْ غَيْرِهِ، بِمَا عَرَضَهُ، إِلَّا بِإِرَادِ الْحُجَجِ وَالْأَدْلَةِ، رَغِمَ أَنَّ النَّفْيَ لِرَأْيٍ لَا يَغْنِي بِالضَّرُورَةِ إِثْبَاتَ غَيْرِهِ، دُونَ بُرْهَانٍ بَيِّنٍ.

وَمِمَّنْ نَاقَشَ الْأَرَاءَ، حَوْلَ شَخْصِيَّةِ " ذِي الْقَرْنَيْنِ " اسْمَهُ، وَحَقِيقَتَهُ، وَأَفْعَالَهُ، صَاحِبُ " مُعْجَمِ الْبُلْدَانِ " رَغِمَ أَنَّ هَذَا السَّفَرُ الْعَظِيمَ يُعَدُّ مِنْ كُتُبِ الْجُغَرَفَايَا، وَلَيْسَ التَّارِيخُ، إِلَّا أَنَّهُ سَاقَ أَحَادِيثَ كَثِيرَةً عَنْ " ذِي الْقَرْنَيْنِ "، وَنَقَلَ أَقْوَالَ عَنْ الْمُؤَرِّخِينَ، مِمَّنْ سَبَقُوهُ أَوْ عَاصَرُوهُ، فَكَانَ عَرْضُهُ عَنْهُ عَرْضًا تَارِيخِيًّا، وَقَدْ اجْتَهَدَ كَثِيرًا فِي طَرْحِ رَأْيِهِ، وَأَتَى بِحُجَجٍ عَقْلِيَّةٍ مَنْطِقِيَّةٍ، نَبَى فِيهَا أَنْ يَكُونَ " ذُو الْقَرْنَيْنِ " هُوَ الْإِسْكَندَرُ الْمَقْدُونِي، بِسَبَبِ عُمْرِهِ الْقَصِيرِ الَّذِي لَمْ يَمْتَدِّ إِلَى أَكْثَرِ مِنْ اثْنَتَيْنِ وَثَلَاثِينَ سَنَةً، وَهِيَ مُدَّةٌ لَا تَكْفِي، بِرَأْيِهِ، لِإِحْقَاقِ كُلِّ هَذِهِ الْإِنْجَازَاتِ الْكَبِيرَةِ، وَيَسُوقُ جَيُوشًا جَرَّارَةً، بِعَدَدِهَا وَعَدَّتِهَا، وَيَصِلُ إِلَى الصَّيْنِ، وَيُنْبِي السَّدَّ، وَيُغَالِبُ الْمُلُوكَ فِي طَرِيقِهِ، وَتَتَفَوَّقُ عَلَيْهِمْ، وَعِنْدَهُ أَنَّ هَذَا لَا يَجُوزُ عَقْلِيًّا، وَلَا يُمَكِّنُ قُبُولَهُ، وَخُصُوصًا رِيَاسَتَهُ وَخَبْرَتَهُ وَحُكْمَهُ، فَهَذِهِ أُمُورٌ تَحْتَاجُ إِلَى أَزْمَانٍ أَكْبَرَ وَأَطْوَلَ (الحموي، 1977).

وَحَتَّى إِنَّ يَاقُوتَ الْحَمَوِيَّ قَدْ أَوْرَدَ قَوْلًا آخَرَ يَنْفِي أَنْ يَكُونَ هُوَ قَدْ بَنَى الْإِسْكَندَرِيَّةَ، وَعَزَا ذَلِكَ إِلَى الْإِسْكَندَرِ الْأَوَّلِ السَّابِقِ لِلْمَقْدُونِيِّ وَاسْمُهُ أَشْلُكُ بْنُ سَلُوكُوسَ، وَكَأَنَّهُ يُؤَيِّدُ مَقُولَةَ أَنَّ " ذَا الْقَرْنَيْنِ " لَيْسَ هُوَ الْمَقْدُونِي، لَشِرْكَهَ، وَاتِّبَاعَهُ أَسْتَادَهُ أَرِسْطَاطَالِسَ الْفَيْلَسُوفِ الِّي يَرَى بِقَدَمِ الْعَالَمِ، وَعَدَمَ اتِّبَاعِهِ التَّوْحِيدِ. وَمَعَ ذَلِكَ، وَمَنْطِقِيَّتِهِ، فَإِنَّهُ يَظَلُّ رَأْيًا قَابِلًا لِلْبَوْلِ وَالرَّفْضِ؛ لِمَا يَفْتَقِرُ إِلَيْهِ مِنَ الدَّلِيلِ الْقَاطِعِ الْمَانِعِ.

وَعَنْ سَبَبِ لِقَبِهِ " ذِي الْقَرْنَيْنِ " وَعَنْ كَوْنِهِ نَبِيًّا، أَوْ رَسُولًا، أَوْ مَلِكًا، أَوْ عَبْدًا مُؤْمِنًا، وَنَ أَعْمَالِهِ، وَتَمَكُّنِهِ، فَقَدْ تَنَاوَلَ الْمُؤَرِّخُونَ حَقِيقَةَ ذَلِكَ، كَمَا تَنَاوَلَهُ الْمُفَسِّرُونَ، فَمَنْ كَانَ مِنَ الْمُؤَرِّخِينَ مُفَسِّرًا، تَنَاوَلَ ذَلِكَ كُلَّهُ بِقَلَمِ الْمُفَسِّرِ وَالْمُؤَرِّخِ بَآنٍ وَاحِدٍ، وَهَذَا مِمَّا كَانَ مِنْ مَنَاجِ الْعُلَمَاءِ السَّابِقِينَ، فَهُمْ يُكَرِّرُونَ وَيُعِيدُونَ مَا تَنَاوَلُوهُ، وَظَهَرَ ذَلِكَ جَلِيًّا عِنْدَ ابْنِ كَثِيرٍ، دُونَ غَيْرِهِ، وَهُوَ مِمَّا تَجَلَّى عِنْدَ الْمُفَسِّرِينَ، قَدِيمِهِمْ وَمُحَدِّثِهِمْ. وَلِذَا قَدْ رَضِيَ الْمُؤَرِّخُونَ الْأَقْدَمُونَ بَآنَ يَسُوقُوا أَحَادِيثَ وَآرَاءَ لَمْ يَتَحَقَّقُوا مِنْهَا، وَأَخَذُوا عَلَى عِلَالَتِهَا، وَعَوَاهِنَهَا؛ فَجَاءَتْ مُصْطَفَاؤُهُمْ غَرِيبَةً فِي الْحِشْوِ وَالِاسْتِطْرَادِ، وَلَمْ يُضَفْ لِاحْتِفَالِهِمْ عَلَى سَابِقِهِمْ، شَيْئًا مُخْتَلِفًا كُلَّ الْاِخْتِلَافِ، بَلْ جَاءَتْ تِلْكَ الْمُؤَلَّفَاتُ نُسَخًا مُكَرَّرَةً مُعَارَةً.

الْمَطْلَبُ الثَّانِي: ذُو الْقَرْنَيْنِ عِنْدَ الْمُؤَرِّخِينَ الْمُحَدِّثِينَ: اسْمُهُ، حَقِيقَتُهُ، أَعْمَالُهُ

كَمَا ظَلَّ الْحَدِيثُ عَنْ " ذِي الْقَرْنَيْنِ " مُتَتَابِعًا، وَمُتَّصِلًا عِنْدَ الْمُفَسِّرِينَ وَالْمُؤَرِّخِينَ، قَدِيمًا، فَإِنَّهُ اسْتَمَرَّ فِي الْعَصْرِ الْحَدِيثِ وَالْحَالِي، عِنْدَ كَثِيرٍ مِنَ مُؤَرِّخِي الْعَرَبِ وَالْمُسْلِمِينَ، وَأَصْبَحَتْ شَخْصِيَّةُ " ذِي الْقَرْنَيْنِ " كَأَنَّهَا حَدِيثُ الْبَاحِثِينَ، وَشُغْلُهُمُ الشَّاعِلُ، فَكَثُرُوا مِنَ التَّصْنِيفَاتِ حَوْلَهُ، وَأَخَذَ كُلُّ مُؤَرِّخٍ وَبَاحِثٍ مُحَدِّثٍ، يُدْلِي بِدَلْوِهِ، مَا بَيْنَ مُؤَيِّدٍ لِعَرِّ، وَمُقَنِّدٍ رَافِضٍ لِآخَرٍ، فَزَجَرَتْ مَكْتَبَاتُ الْعَالَمِ الْإِسْلَامِيِّ بِالْكَتُبِ حَوْلَهُ، وَلِذَا فَقَدْ لَقَتْ أَنْظَارُنَا بَعْضُ الْبَاحِثِينَ الْمُحَدِّثِينَ الَّذِينَ أَشْهَمُوا فِي الْحَدِيثِ عَنْهُ، وَظَنَّ أَكْثَرُهُمْ أَنَّهُ قَدْ اسْتَوْفَى حَقَّ الْبَحْثِ وَالدَّرَاسَةِ، وَاسْتَيْقَنَ مِمَّا قَالَهُ وَخَطَّهَ بِيَمِينِهِ، وَادَّ جَدُّ أَكْثَرٍ مِنْ بَاحِثٍ وَاحِدٍ قَدْ أَغْلَقَ بَابَ النِّقَاشِ بِمَا تَوَصَّلَ إِلَيْهِ، وَصَدَّ وَدَفَعَ الدَّرَاسَاتِ الَّتِي سَبَقَتْهُ، وَهَذَا مِمَّا لَا يَنْبَغِي قُبُولَهُ، وَلَا يَوْفُقُ عَنْدهُ كَمُسَلِّمَاتٍ رَصِينَةٍ، لَا تَقْبَلُ الْعَرَضَ وَالتَّقْضُ.

يَرَى أَحَدُ الْبَاحِثِينَ الْمُسْلِمِينَ، رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى، فِي الْعَصْرِ الْخَدِيثِ، وَهُوَ أَبُو الْكَلَامِ آزَادُ الْعَالِمِ الْهِنْدِيُّ الْمُسْلِمُ، وَقَدْ تَبِعَهُ فِي رَأْيِهِ ثَلَاثَةٌ مِنَ الْبَاحِثِينَ، وَأَخَذُوا بِأَقْوَالِهِ، أَنَّ "ذَا الْقُرْنَيْنِ" لَيْسَ هُوَ الْإِسْكَندَرُ الْمَقْدُونِيُّ، أَوْ عَرَبِيًّا مِنْ جَمِيرٍ، أَوْ الْإِسْكَندَرُ الْأَوَّلُ الَّذِي كَانَ عَلَى زَمَنِ إِبْرَاهِيمَ، عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَإِنَّمَا هُوَ "قورش" أَوْ "كورش" الْفَارِسِيُّ، دُونَ مُنَارِجٍ، وَبَنِي فَرَضِيَّاتِهِ عَلَى عِدَّةِ أُمُورٍ، مِنْهَا أَنَّ الْإِسْكَندَرَ الْمَقْدُونِيَّ لَمْ يَكُنْ مُسْلِمًا صَالِحًا، وَلَمْ يُعْرِفْ عَنْهُ أَنَّهُ قَدْ اتَّجَعَ بِرَحْلَاتِهِ، إِلَى ثَلَاثِ مَنَاطِقٍ (شَرْقًا وَعَظِيمًا وَشَمَالًا)، وَكَذَلِكَ لَمْ يُعْرِفْ عَنْهُ أَنَّهُ قَدْ بَنَى السَّدَّ، وَالْأَهَمُّ مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ أَنَّ الْيَهُودَ هُمُ الَّذِينَ سَأَلُوا أَوْ حَثُّوا قُرْنَيْنًا عَلَى أَنْ يَسْأَلُوا عَنْ الرَّجُلِ الطَّوَافِ وَخَبْرِهِ، وَلِذَا فَهَمَّ يَسْأَلُونَ عَنْ شَخْصٍ لَا بُدَّ مِنْ أَنَّ عِنْدَهُمْ خَبْرًا عَنْهُ. فَلَا أَصَحَّ بِرَأْيِهِ أَنْ تَبْدَأَ الدِّرَاسَاتُ عَنْ "ذِي الْقُرْنَيْنِ" مِنَ التَّوْرَةِ أَوَّلًا، وَيَرَى أَنَّ "قورش" كَانَ مُوحَّدًا مُؤْمِنًا عَلَى دِيَانَةِ زَرَادَشْتِ التَّوَحِيدِيَّةِ، مَعَ افْتِنَاعِهِ بِأَنَّ الرَّسُولَ لَمْ يَطْلُعْ عَلَى مَا فِي التَّوْرَةِ. وَيَنْفِي أَنْ يَكُونَ عَرَبِيًّا مِنْ جَمِيرٍ لِأَنَّ الْيَهُودَ وَضَعُوا فِي حُسْبَانِهِمْ، وَلَوْ ظَنًّا أَنَّ يَكُونُ الرَّسُولُ، عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وَالْعَرَبُ قَدْ سَمِعُوا بِهِ، فَلَا اخْتِبَارَ وَلَا إِخْرَاجَ عِنْدَ ذَلِكَ لِلرَّسُولِ، وَقَدْ كَذَلِكَ الْاِحْتِمَالَاتِ الْآخَرَى بِأَنْ يَكُونَ غَيْرَ "قورش". وَأَخِيرًا مَا اسْتَنَدَ إِلَى التَّمَثَالِ الَّذِي اكْتُشِفَ فِي بِلَادِ فَارَسَ الْقَدِيمَةِ، وَالَّذِي يُظْهِرُ أَنَّهُ "قورش" الْمَذْكُورُ فِي الْقُرْآنِ الْحَكِيمِ بِاسْمِ "ذِي الْقُرْنَيْنِ" (الهمدان، 2015؛ عبد الحكيم، د.ت.).

هَذِهِ هِيَ مُجْمَلُ الْآرَاءِ الَّتِي اعْتَمَدَ عَلَيْهَا أَبُو الْكَلَامِ آزَادُ، وَهِيَ إِنْ صَحَّتْ نِقَاشًا وَدِرَاسَةً، فَلَا تَصِحُّ نَتِيجَةُ رَاسِخَةٍ، لِعِدَّةِ أَسْبَابٍ، مِنْهَا: أَنَّهُ لَمْ يُثَبِّتْ أَنَّ "قورش" كَانَ مُوحَّدًا مُؤْمِنًا، وَإِنْ كَانَ عَادِلًا رَحِيمًا، وَأَيْضًا، رُبَّمَا الدِّيَانَةُ الزَّرَادَشْتِيَّةُ قَدْ نَالَهَا التَّحْرِيفُ وَالتَّبْدِيلُ كَمَا فَعَلَ أَهْلُ الْكِتَابِ، وَمِنْهَا كَذَلِكَ، اخْتِفَاءُ الْيَهُودِ بِهِ وَمَدْحُهُمْ لَهُ؛ لِأَنَّهُ خَلَصَهُمْ مِنَ الْأَسْرِ الْبَابِلِيِّ لَا يَدُلُّ عَلَى صِدْقِ أَخْبَارِهِ فِي التَّوْرَةِ، فَالْيَهُودُ يُغَيِّرُونَ وَيُبَدِّلُونَ، وَلَا يَتَّبِعُونَ إِلَّا مَا فِيهِ الْمَضْلَحَةُ لَهُمْ قَدِيمًا وَحَدِيثًا، وَهُمْ أَهْلُ نِفَاقٍ وَمِسْكَنَةٍ، حَيْثُ يَعْلَمُ أَبُو الْكَلَامِ آزَادُ هَذَا التَّحْرِيفُ وَالتَّغْيِيرُ، وَكَذَلِكَ لَوْ ثَبَّتْ بَطْلَانُ أَنَّ يَكُونُ "ذُو الْقُرْنَيْنِ" لَيْسَ عَرَبِيًّا أَوْ الْإِسْكَندَرُ، فَهَذَا لَيْسَ بِالضَّرُورَةِ أَنْ يَكُونَ "قورش"، وَأَمَّا السَّدُّ وَاكْتِشَافُهُ عِنْدَ جِبَالِ الْقَوَاقِزِ فَلَيْسَ حُجَّةً عَلَى أَنَّ "قورش" قَدْ بَنَاهُ، لِأَنِّي أُمِيلُ إِلَى أَنَّ السَّدَّ مِنَ الْعَبَثِيَّاتِ الَّتِي لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا اللَّهُ، وَأَمَّا التَّمَثَالُ وَمُحْتَوَاتُهُ مِنَ الْجَنَاحِينَ أَوْ الْقُرْنَيْنِ اللَّذِينَ عَلَى حَافَتِي رَأْسِهِ فَلَا دَلِيلَ قَاطِعٍ عَلَى أَنَّهُ ذُو الْقُرْنَيْنِ، وَأَخِيرًا تَوْحِيدُهُ لِمِنْطَقَتِي إِيْرَانَ الْقَدِيمَةِ فَلَيْسَ حُجَّةً عَلَى تَعْلِيلِ سَبَبِ لِقَبِّهِ "بِذِي الْقُرْنَيْنِ"، وَالْأَهَمُّ مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ أَنَّ عَمَلَ أَبِي الْكَلَامِ آزَادُ وَدِرَاسَتَهُ عَنْ ذِي الْقُرْنَيْنِ، هُوَ تَفْسِيرٌ وَلَيْسَ تَارِيخًا، فَخَلَطَ التَّفْسِيرَ بِالتَّارِيخِ، وَاسْتَنَدَ إِلَى الْإِسْرَائِيلِيَّاتِ وَالْخُرَافَاتِ، وَإِنْ غَلَّقَهَا بِطَوَائِعِ النِّقَدِ الْعِلْمِيِّ وَالْمَنْهَجِ الْاِسْتِدْلَالِيِّ.

وَأَمَّا الْبَاحِثُ الْآخَرُ، الَّذِي اسْتَوْقَفَنِي، لِغَرَابَةِ مَا جَاءَ بِهِ، وَلِشِدَّةِ تَعْصِبِهِ لِآرَائِهِ وَأَقْوَالِهِ، فَهُوَ الدَّكْتُورُ حَاتِمُ الْهَمْدَانِ، أَحَدُ الَّذِينَ جَدُّوا وَاجْتَهَدُوا، وَحَاوَلُوا التَّوَصُّلَ إِلَى نَتَائِجِ اِزْتِصُوهَا لِأَنْفُسِهِمْ، وَجَعَلُوا دِرَاسَاتٍ مِنْ سَبْقِهِمْ فِي مَهَبِّ الرِّيحِ، وَمِنْ الْغَرِيبِ فِي دِرَاسَتِهِ أَنْ عَنَوْنَ كِتَابَهُ بِ (ذُو الْقُرْنَيْنِ النَّبِيُّ الْمَصْرِيُّ الَّذِي طَافَ بِالْعَالَمِ وَعَلَّمَ النَّاسَ الدِّينَ وَالْحَضَارَةَ)، وَكَأَنَّهُ يَبْتَدِئُ دِرَاسَتَهُ بِإِبْهَاتِ نُبُوءَةِ ذِي الْقُرْنَيْنِ الَّتِي مَازَلَتْ إِلَى الْآنِ مَحَلَّ شَكٍّ وَاجْتِهَادَاتٍ مِنَ الْأَقْدَمِينَ وَالْمُخْدَثِينَ، فَقَدْ بَيَّنَّ مَنَهِجَتَهُ دِرَاسَتِهِ فِي مُقَدِّمَةِ كِتَابِهِ، وَأَخَذَ يَسْرُدُ أَقْوَالَهُ، مُقَدِّدًا آرَاءَ غَيْرِهِ مِنَ الدَّارِسِينَ وَالْبَاحِثِينَ، وَاسْتَنَدَ إِلَى الْأَسَاطِيرِ فِي دِرَاسَتِهِ، وَهِيَ (أَسْطُورَةُ أَوْرَيس) الْمِصْرِيَّةُ الَّتِي بَنَى كُلُّ أَقْوَالِهِ وَآرَائِهِ عَلَيْهَا، وَكَغَيْرِهِ مِنَ الدَّارِسِينَ، فَقَدْ مَرَّجَ دِرَاسَتَهُ بِالْتَّفْسِيرِ، وَالْجُغْرَافِيَا، وَالتَّارِيخِ، وَاللُّغَةِ، وَالْعِلْمِ التَّجْرِبِيِّ، وَالْإِنْسَانِيَّ، وَلَا نَعْرِفُ عَنْهُ، أَمُفَسِّرٌ هُوَ، أَمْ مُؤَرِّخٌ، أَمْ عَالِمٌ جِيُولُوجِيٌّ وَقَلْبِيٌّ، أَمْ لَعُويٌّ مُتَمَكِّنٌ؟ وَجَعَلَ دِرَاسَتَهُ الْأُولَى فِي الْكِتَابِ حَوْلَ الْمَنَاطِقِ الَّتِي وَصَلَ إِلَيْهَا ذُو الْقُرْنَيْنِ، وَقَسَّرَ الْعَيْنَ الْحَمِيَّةَ أَوْ الْحَامِيَّةَ، وَدَلَّلَ عَلَى أَنَّهَا فُوهَةُ بُرْكَانٍ ثَائِرٍ، عَلَى رَأْسِ جَبَلٍ أَوْ جَبَلَيْنِ، وَحَلَّلَ لَعُويًّا مَعْنَى الْقُرْنِ الَّذِي خَفِيَ عَلَى الْمُفَسِّرِينَ وَالْمُؤَرِّخِينَ الْأَقْدَمِينَ وَالْمُخْدَثِينَ، وَهَمَا جَبَلَانِ فِي الشَّرْقِ وَالْغَرْبِ، وَصَلَ إِلَيْهِمَا ذُو الْقُرْنَيْنِ، وَحَلَّلَ لَعُويًّا اسْمِي عَزْرِي وَإِذْرِيسَ، وَتَوَصَّلَ، مِنْ خِلَالِ ذَلِكَ، إِلَى أَنَّهُمَا "أَوْرَيس" الْإِلَهُ الْمِصْرِيُّ الْأَسْطُورِيُّ الْبَاطِلُ، فَعِنْدَهُ أَنْ عَزْرِي الَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَّةٌ عَلَى عُروَشِهَا {البقرة: آية} وَإِذْرِيسَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، هُمَا ثَلَاثَةُ أَسمَاءٍ لِشَخْصٍ وَاحِدٍ، هُوَ "أَوْرَيس" الَّذِي هُوَ "ذُو الْقُرْنَيْنِ" (الهمدان، 2015).

وَلَنْ تَسْتَطِيعَ الدِّرَاسَةُ، هُنَا، ذِكْرُ كُلِّ مَا تَنَاوَلَهُ الدَّارِسُ الْهَمْدَانُ، فِي كِتَابِهِ الْكَبِيرِ، لِأَنَّهُ اشْتَمَلَ عَلَى أَكْثَرِ مِنْ (730) صَفْحَةً، وَهِيَ دِرَاسَةٌ يُعْتَقَدُ أَنَّهَا أَكْبَرُ مِنْ مَوْضُوعِهَا، وَقِصَّةُ ذِي الْقُرْنَيْنِ، لَا تَسْتَحِقُّ، بِرَأْيِي، كُلَّ هَذَا الْعَنَاءِ وَالْحَجْمِ، وَفِيهَا تَشْتِيتٌ لِلْقَارِي، وَاسْتِظْرَادٌ، وَقَرَضُ آرَاءِ بَنِيَتْ عَلَى تَحْلِيلِ الْأَسَاطِيرِ الْمِصْرِيَّةِ، وَتَظَلُّ اجْتِهَادَاتٍ، لَا يَعْلَمُ بِحَقِيقَةِ قِصَّتِهِ إِلَّا اللَّهُ، سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وَكَذَلِكَ يُرِينَا الْهَمْدَانُ أَنَّهُ لَعُويٌّ وَمُفَسِّرٌ وَمُؤَرِّخٌ وَجُغْرَافِيٌّ، وَهَذَا عَمَلٌ يُشْكِرُ عَلَيْهِ، وَلَكِنْ أَنْ يُثَبِّتَ حَقِيقَةَ "ذِي الْقُرْنَيْنِ" بِالْاعْتِمَادِ عَلَى الْأَسَاطِيرِ، وَالتَّحْلِيلِ اللَّغَوِيِّ، وَتَحْدِيدِ مَكَانِ السَّدِّ الَّذِي بَنَاهُ "ذُو الْقُرْنَيْنِ"، أَوْ الْمَنَاطِقِ الَّتِي وَصَلَ إِلَيْهَا، وَالتَّيَقُّنُ مِنْ ذَلِكَ، لَأَمْرٌ مُسْتَعْرَبٌ، خُصُوصًا أَنَّهُ، رَفَضَ أَيَّ رَأْيٍ سِوَى آرَائِهِ، وَاعْلَاقَ الْبَابِ فِي وَجْهِ مَنْ يُحَاوِلُ الْاجْتِهَادَ وَالتَّقْصِيَّ حَوْلَ قِصَّةِ "ذِي الْقُرْنَيْنِ"، وَمِمَّا يَسْتَوْفِفُ أَيَّ دَارِسٍ يُطَالِعُ آرَاءَهُ، أَنَّهُ عَلَّلَ سَبَبَ لِقَبِّ "ذِي الْقُرْنَيْنِ" وَأَرْجَعَهُ إِلَى اللُّغَةِ، بِمَعْنَى أَنَّهُ صَاحِبُ الْجَبَلَيْنِ اللَّذَيْنِ لَمْ يَنْتَبِهْ إِلَى مَعْنَى الْقُرْنِ فِي اللُّغَةِ غَيْرُهُ، وَقَدْ رَجَعْتُ إِلَى أَمَاتِ الْمَعَاجِمِ الْعَرَبِيَّةِ، وَوَجَدْتُ أَنَّ الْقُرْنَ بِمَعْنَى: الْحَبْلِ وَالسَّيْفِ ذِي الْحَدَيْنِ، وَالْقُرْنُ حَدُّ السَّيْفِ، وَكَذَلِكَ بِمَعْنَى: الرُّمَحِ الَّذِي حَدِيدَتُهُ مِنْ قُرْنِ الْخِيَوَانِ، وَهِيَ مَعَانٍ أُخْرَى لِلْقُرْنِ فِي اللُّغَةِ، لَمْ يَذْكُرْهَا الْمُفَسِّرُونَ وَالْمُؤَرِّخُونَ، قَدِيمًا وَحَدِيثًا، أَوْ لَمْ

يَزَكُّرُ عَلَيْهَا أَحَدٌ مِنْ دَارِسِي قِصَّةِ "ذِي الْقُرْنَيْنِ"، فَلِمَ لَا يَكُونُ سَبَبُ لَقْبِهِ أَنَّهُ كَانَ يَحْمِلُ حَبْلَيْنِ قَدْ عُرِفَ بِهِمَا، أَوْ كَانَ يَحْمِلُ رُمَحَيْنِ أَسْتَنَّهُمَا مِنْ قُرُونِ الْحَيَوَانِ، عِنْدَ الْقِتَالِ؟ وَلَكِنْ لَا نَدْعِي ذَلِكَ، وَلَا نُسَلِّمُ بِهِ، وَإِنْ كَانَ أَحْتِمَالُهُ جَائِزًا. وَهُنَاكَ دِرَاسَاتٌ حَدِيثِيَّةٌ كَثِيرَةٌ، أَخَذَتْ حَبْرًا ضَخْمًا فِي عَدَدِ صَفَحَاتِ الْكُتُبِ الَّتِي اخْتَوَتْهَا، وَكُلُّهَا نَاقَشَتْ تَحْدِيدَ هُويَّةِ "ذِي الْقُرْنَيْنِ" وَحَقِيقَتَهُ (هل هُوَ نَبِيٌّ، أَمْ مَلِكٌ، أَمْ عَبْدٌ، أَمْ مَلَكٌ؟)، وَمِنْهَا دِرَاسَةٌ لِلْمُوسَوِيِّ (وَجَدِي، 1971)، الَّتِي يُؤَكِّدُ أَنَّهُ الْإِسْكَنْدَرُ الْمَقْدُونِيُّ، حَتَّى لَوْ كَانَ بِغَيْرِ دِينِ التَّوْحِيدِ، أَوْ كَانَ ذَا شُدُودٍ اخْلَاقِيٍّ، وَهُوَ كَلَامٌ مَرْفُوضٌ، لَا تَقْبَلُهُ فِطْرَةٌ، وَفِيهِ تَجَرُّ لِلْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، وَلِلْبَاحِثِ (عَبْدِ الْحَكِيمِ، 1980) وَ (يُوسُفَ، 1994) وَ (الطَّبَّاحِ، 2003)، الَّتِي اعْتَمَدَ عَلَى أَشْعَارِ الْعَرَبِ فِي تَحْدِيدِ شَخْصِيَّةِ ذِي الْقُرْنَيْنِ، وَأَنَّهُ عَرَبِيٌّ النَّسَبِ، دُونَ مَنَازِعٍ، وَلَمْ يَتَنَبَّثْ مِنْ صِحَّةِ الْأَشْعَارِ، بَلْ تَنَاوَلَهَا وَازْتَكَّرَ عَلَيْهَا، لِلتَّلَدِيلِ عَلَى آرَائِهِ، وَأَكَّدَ أَنَّ لَفْظَةَ (ذُو) هِيَ عَرَبِيَّةٌ اخْتَصَّصَتْ بِهَا الْعَرَبُ، وَهَذَا لَيْسَ صَحِيحًا؛ لِأَنَّ لَفْظَةَ (ذُو) وَرَدَتْ عِنْدَ الْعَرَبِ وَغَيْرِهِمْ، نَحْوِ "ذُو النَّوْنِ وَهُوَ صَاحِبُ الْحَوْتِ يُونُسُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَكَذَلِكَ ذُو الْكِفْلِ نَبِيُّ اللَّهِ"، وَهُمَا لَيْسَا عَرَبِيَّيْنِ، وَقَدْ اجْتَهَدَ كُلُّ مَنْهُمَ، وَتَوَسَّعَ فِي دِرَاسَتِهِ، وَكَانَ أَكْثَرُهُمْ اعْتِدَالًا فِي بَسْطِ الْآرَاءِ، وَعَدَمِ التَّسْلِيمِ لِلنَّتَائِجِ الَّتِي تَوَصَّلُوا إِلَيْهَا، هُوَ "مُحَمَّدُ خَيْرُ رَمَضَانَ يُونُسُ" الَّتِي رَفَضَ فِكْرَةَ تَعْيِينِ شَخْصِيَّةِ "ذِي الْقُرْنَيْنِ" وَتَحْدِيدَهَا، أَوْ تَعْيِينَ مَكَانِ السِّدِّ الَّتِي بَنَاهُ "ذُو الْقُرْنَيْنِ" وَلَكِنْ تَوَسَّعَ فِي تَنَاوُلِهِ، وَدِرَاسَتِهِ، إِلَى الْحَدِّ الَّتِي لَا يَسْتَحِقُّ كُلَّ الْعَنَاءِ، فَكَانَ عَلَيْهِ، جَزَاءُ اللَّهِ خَيْرًا، اخْتِصَارُ الدِّرَاسَةِ، وَعَدَمُ الاسْتِظْرَادِ وَعَدَمُ ذِكْرِ كُلِّ شَارِدَةٍ وَوَارِدَةٍ، وَكَذَلِكَ دِرَاسَةُ (الْخَالِدِيِّ، 2007) الَّتِي جَاءَتْ آرَؤُهُ كَمَا اسْتَنْتَجَاهَا يُونُسُ، وَتَبَقِيَ دِرَاسَةُ "الطَّبَّاحِ" الَّتِي تَوَصَّلَ فِيهَا إِلَى نَتِيجَةٍ دَامِغَةٍ، حَسَبَ اعْتِقَادِهِ وَاجْتِهَادِهِ، وَهِيَ أَنَّ شَخْصِيَّةَ "ذِي الْقُرْنَيْنِ" عَرَبِيَّةٌ مِنْ جَمِيرٍ، وَأَعْطَى أَسْمَاءَ لِمُلُوكِ الْيَمَنِ التَّابِعَةِ، وَرَجَّحَ كَوْنَهُ "ذِي الْقُرْنَيْنِ" عَرَبِيًّا، وَهُوَ رَأْيٌ لَا يَنْقُضُهُ آرَاءُ أُخَرَى، وَجَعَلَ ذَلِكَ مِنَ الْمُسْلِمَاتِ وَالْحَقَائِقِ الَّتِي يُؤْخَذُ بِهَا فَقَطْ.

الْمَبْحَثُ الثَّلَاثُ: ذُو الْقُرْنَيْنِ: شَخْصِيَّتُهُ وَحَقِيقَتُهُ، وَأَعْمَالُهُ عِنْدَ أَدْبَاءِ الْمُسْلِمِينَ

الْمُظْلَبُ الْأَوَّلُ: ذُو الْقُرْنَيْنِ فِي التَّرَاثِ الْأَدْبِيِّ الْعَرَبِيِّ وَالْإِسْلَامِيِّ الشَّعْرِيِّ

لَقَدْ شَاعَ ذِكْرُ "ذِي الْقُرْنَيْنِ"، وَبَلَّغَتْ الْأَفَاقُ الْقَرِيبَةُ وَالْبَعِيدَةُ، وَعُرِفَتْ عِنْدَ الْأُمَمِ وَالشُّعُوبِ الْمُخْتَلِفَةِ، وَتَنَاوَلَهُ الْمُفَسِّرُونَ وَالْمُؤَرِّخُونَ، قَدِيمًا وَحَدِيثًا، وَوُجِدَ لَهُ ذِكْرٌ وَأَخْبَارٌ فِي الْأَدَبِ الْإِسْلَامِيِّ الْقَدِيمَةِ وَبَعْدَهَا، وَقَدْ اعْتَمَدَ كَثِيرٌ مِنَ الدَّارِسِينَ وَالْبَاحِثِينَ الْأَقْدَمِينَ وَالْمُحْدَثِينَ، عَلَى رَوَايَاتٍ أَدَبِيَّةٍ شَعْرِيَّةٍ وَنَثَرِيَّةٍ، وَحَتَّى لُغَوِيَّةٍ، وَوَجَدُوا فِيهَا مَادَّةً تَارِيخِيَّةً، جَعَلَتْهُمْ يَسْتَنْتِجُونَ وَيَخْلُصُونَ إِلَى دَلَائِلَ تُبَيِّنُ وَتُثَبِّتُ أَقْوَالَهُمْ فِي تَحْدِيدِ شَخْصِيَّةِ "ذِي الْقُرْنَيْنِ"، وَأَنَّهُ عَرَبِيٌّ، وَلَيْسَ كَمَا يَدَّعِي كَثِيرٌ مِنَ الْمُؤَرِّخِينَ بِأَنَّهُ الْإِسْكَنْدَرُ الْمَقْدُونِيُّ، أَوْ غَيْرُهُ، وَحَقِيقَتُهُ وَأَعْمَالُهُ، وَرَحَلَاتُهُ، وَبِنَائِهِ السِّدَّ عَلَى يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ. وَمِنْ أَشْهُرِ الْمُصَنَّفَاتِ وَأَقْدَمِهَا، الَّتِي ذَكَرْتُ "ذَا الْقُرْنَيْنِ" فِي الشَّعْرِ الْعَرَبِيِّ، كِتَابُ "التَّيْجَانُ فِي مُلُوكِ جَمِيرٍ" لِلْمُصَنِّفِ النَّبَاعِيِّ وَهَبِ بْنِ مُنَبِّهٍ، الَّتِي اعْتَمَدَ عَلَيْهِ كَثِيرٌ مِنَ الْمُفَسِّرِينَ وَالْمُؤَرِّخِينَ، فِي نَقْلِ الرِّوَايَاتِ وَالْإِخْبَارِ ضَمَّنَ تَدْوِينَهُمَ لِلتَّفْسِيرِ وَالتَّأْرِيخِ، رَغَمَ امْتِزَاجِ الْإِسْرَائِيلِيَّاتِ وَالْقِصَصِ الشَّعْبِيِّ فِي جُلِّهَا. وَكِتَابُ "التَّيْجَانُ" كِتَابٌ فِي التَّأْرِيخِ، وَلَكِنْ لَاحْتَوَائِهِ أَشْعَارًا كَثِيرَةً عَنْ "ذِي الْقُرْنَيْنِ" اِزْتَأَتِ الدِّرَاسَةُ أَنْ يُصَنَّفَ ضَمَّنَ التَّرَاثِ الشَّعْرِيِّ الْعَرَبِيِّ الَّتِي تَحَدَّثُ عَنْ "ذِي الْقُرْنَيْنِ"، وَفِي الْكِتَابِ يُذَكَّرُ وَهَبُ بْنُ مُنَبِّهٍ قِصَّةَ "ذِي الْقُرْنَيْنِ" كُلُّهَا نَثْرًا، وَيُحَدِّدُ شَخْصِيَّتَهُ بِأَنَّهُ "الصَّعْبُ بْنُ الْحَارِثِ الرَّائِشُ بْنُ ذِي مَرَاثِدٍ" الْجَمِيرِيِّ، وَيَنْتَهِي نَسَبُهُ إِلَى سَامِ بْنِ نُوحٍ. وَيَعْزُو الْمُصَنِّفُ فِي كِتَابِهِ شِعْرًا لَذِي الْقُرْنَيْنِ، وَظَاهِرُهَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهَا مَنْحُولَةٌ مَوْضُوعَةً، وَكَأَنَّهَا مَوْضُوعَةٌ فِي وَقْتٍ مُتَأَخِّرٍ، وَلِذَلِكَ، كَيْفَ وَصَلَتْ إِلَى الْمُؤَلِّفِ، وَمَنْ رَوَاهَا، وَمِنْهَا (بِحَرِّ الْوَافِرِ):

إِذَا كَانَ الْإِمَامُ يُحِيفُ جَوْرًا وَقَاضِي الْأَرْضِ يُدْهِنُ فِي الْقَضَاءِ
فَوَيْلٌ لِمَنْ وََيْلٌ لِمَنْ وََيْلٌ لِقَاضِي الْأَرْضِ مِنْ قَاضِي السَّمَاءِ

وَمُنَاسَبَتُهَا أَنَّهُ جَمَعَ أَلْفَ أَلْفِ مُقَاتِلٍ، وَسَارَ بِالْجِيُوشِ إِلَى مَكَّةَ حَاجًّا، وَإِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ، وَالتَّقَى بِمُوسَى الْخَضِرِ هُنَاكَ، وَأَمَرَ بِكِتَابَةِ الْقَصِيدَةِ عَلَى حَجَرٍ نَقَشَ فِيهِ هَذِهِ الْأَبْيَاتُ. وَقَالَ غَيْرُهَا مِنَ الْأَبْيَاتِ الشَّعْرِيَّةِ، عِنْدَمَا عَلِمَ بِشُرْبِ الْخَضِرِ لِمَاءِ الْخُلُودِ، وَلَمْ يَبْلُغْهُ هُوَ، فَقَالَ يُظَاهِرُ عَجْزَهُ وَيَصِفُ ضَعْفَهُ، وَكَأَنَّهُ يَرَى نَفْسَهُ: (بِحَرِّ السَّرِيعِ)

مَنْعَ الْبَقَاءِ تَقْلُبُ الشَّمْسُ وَظُلُوعُهَا مِنْ حَيْثُ لَا تُمْسِي
وَالصَّعْبُ ذُو الْقُرْنَيْنِ قَادَ بِهَا لِصَلَاحِ أَرْضِ التُّرْكِ وَالْفُرْسِ
يَجْرِي الزَّمَانُ لَنَا بِأَرْبَعَةٍ غَيْرَ مَا أَصْلَحُنَا بِالْأُمْسِ
يَوْمٌ وَلَيْلٌ دَائِرٌ بِهِمَا نَحْسُ وَسَعْدٌ غَايَةُ النَّفْسِ

وَهِيَ أَبْيَاتٌ فِي الْحِكْمَةِ، وَيُسْتَمُّ مِنْهَا رَائِحَةُ الصَّنَاعَةِ الْمُتَأَخَّرَةِ، وَالْوَضْعُ فِيهَا ظَاهِرٌ، لَا يَخْفَى عَلَى ذِي بَصِيرَةٍ فِي الشَّعْرِ، وَلَيْسَ بِهِ. وَيَقُولُ فِي أَبْيَاتٍ كَثِيرَةٍ مِنْ قَصِيدَةٍ تُسَبِّحُ إِلَيْهِ، يَشْرَحُ فِيهَا رَحَلَاتِهِ إِلَى الْعَرَبِ وَالشَّرْقِ، وَكَيْفَ انْتَصَرَتْ دَعْوَتُهُ لِلْحَقِّ وَلِدِينِ التَّوْحِيدِ، وَبَيِّنُ مِنْ خِلَالِهَا الْأَسْبَابَ الَّتِي مَكَّنَتْهُ مِنَ الْإِنْصَارِ وَبَلُوغِ الْمَكَانِ، الَّتِي وَصَفَهُ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ. وَهَذَا الشَّعْرُ لَا يَقْبَلُهُ عَاقِلٌ، لِأَنَّهُ لَا يَخْتَلِفُ عَنْ أَشْعَارِ الْإِسْلَامِ فِي الْأَفَاطِلِ وَمَعَانِيهِ، وَمِنْ الشَّعْرِ الَّتِي أَثْبَتَهُ وَهَبُ بْنُ مُنَبِّهٍ، وَفِيهِ يَشْرَحُ وَيُبَيِّنُ هُجُومَهُ عَلَى قَوْمِ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ، وَيَبْنِي السِّدَّ عَلَيْهِمْ، قَوْلُهُ: (بِحَرِّ الْكَامِلِ) (ابْنُ مَنْبَهٍ، 1347).

وَرَأَيْتُ عَيْنَ الشَّمْسِ عِنْدَ سُقُوطِهَا وَوَرَدْتُ أَمْوَاجَ الْمَحِيطِ وَرُودَا

وَبَلَّغْتُ أَغْلَامَ الْمَشَارِقِ كُلِّهَا أَنْبَقِيَ لِمَنْ أَبْقَى بِهِنَّ حُدُودًا فَوَطَّئْتُ يَأْجُوجًا وَمَأْجُوجًا بِهَا وَبَنَيْتُ قِطْرًا دُونَهَا وَحَدِيدًا

إنَّ هذه الأشعارَ لَتَحكي قِصَّةَ ذي القُرَينِ، وتَسرِّدُها، بِأسلوبِ القرآنِ الكريمِ، وألفاظِهِ، لَوْلَا أَنَّهَا شِعْرٌ، وهذا يدلُّ كلَّ الدَّلالةِ على انْتِحَالِها، وَأَنَّها قِيلَتْ في العُصورِ الإسلاميَّةِ التَّالِيَةِ بِكثيرِ أَمَدٍ وَرَمَنٍ لِمُلُوكِ اليَمَنِ التَّتابعِ، وظَهَرَ مِنْ خلالِ هذه الأشعارِ والقَصائِدِ أَنَّها أشعارٌ جَمَّةٌ كثيرةٌ، تُنبئُ أَنَّ " ذا القُرَينِ " كانَ شاعِرًا قَدًّا كثيرَ الإنشادِ للشَّعْرِ، وهذا مُزدوِّدٌ على مَنْ يَدَّعي ذلكَ، ويَقْبَلُهُ. وكذلك يَشكُّ عُلَماءُ الشَّعْرِ، إنَّ لَمْ يَكُنْ كُلُّهُ فُجَلَه، في رواياتِ محمد بنِ إسحاقَ.

وَوَرَدَ ذِكْرُ " ذي القُرَينِ "، مِنْ خلالِ الشَّعْرِ، عِنْدَ كَثِيرٍ مِنَ الْمُصَنِّفِينَ الأَقْدَمِينَ، وفي كتابِ "البدايةُ والنهايةُ" وَغَيرِهِ، تُطالِعُنا بَعْضُ الأشعارِ الَّتِي تُوحي بِأَنَّ " ذا القُرَينِ " هو مَلِكٌ عَرَبِيٌّ مِنْ حِمْيَرَ، وفيهِ: " وَقَدْ جَاءَ في حَدِيثٍ أَنَّهُ مِنْ حِمْيَرَ، وَأُمُّهُ روميَّةٌ، وَأَنَّهُ كانَ يُقالُ لَهُ: ابنُ الفِيلَسوفِ لِعَقْلِهِ، وَقَدْ أُشْدَّ بَعْضُ الحِمْيَرِيِّينَ (هو تُبَّعُ ابو كَرَب) في ذلكَ شِعْرًا يَفْتَحِرُ بِكَوْنِهِ أَحَدَ أَجْدادِهِ، فقال: (بحر الكامل) (ابن كثير، 1990، ج 2 ص 105-104؛ القرطبي، 2006، ج 13، ص 370):

قَدْ كانَ ذو القُرَينِ جَدِّي مُسْلِمًا مَلَكًا تَدِينُ لَهُ الملوِكُ وَتَحْشُدُ
بَلَّغَ المَغارِبَ والمَشارِقَ يَتَّبِعِي أَسبابَ أَمْرِ مِنْ حَكِيمٍ مُرْشِدِ
فَرَأى مَغِيبَ الشَّمسِ عِنْدَ غُرُوبِها في عَيْنِ ذِي خَلْبٍ وَثَّاطٍ حَزْمِدِ

وَوَرَدَ ذِكْرُ " ذي القُرَينِ " في ديوانِ امرئِ القيسِ، إذ يقول: (بحر الوافر)، (امرؤ القيس، 1990، ص 214)

أَلَمْ أُخْبِرْكَ أَنَّ الدَّهْرَ غَوُلٌ خَتُورُ العَهْدِ يَلْتَهُمُ الرِّجالا
أَزَالَ عَنِ المَصانِعِ ذا رِياشٍ وَقَدْ مَلَكَ السُّهولَةُ والجِبالا
وَأَنْشَبَ في المَخالِبِ ذا مَنارٍ وَلِلرَّزادِ قَدْ نَصَبَ الجِبالا
هُمامٌ طَحَّطَحَ الأفاقَ وَجَبًا وَساقَ إلى مَشارِقِها الرِّعالا
وَسَدَّ بِحَيْثُ تَرَقَّى الشَّمسُ سَدًّا لِيَأْجُوجَ وَمَاجُوجَ الجِبالا

ويُورِدُ حَسانُ بنِ ثابتٍ، (ج 1، ص 484) ذِكْرًا لـ " ذي القُرَينِ " في ديوانِهِ، إذ يقولُ شِعْرًا على (بحر الطويل):

فَتَحَنُّ بَنُو قَحْطانَ وَالْمُلُكُ وَالْعُلا وَمِنَّا نَبِيُّ اللَّهِ هُوَ الأَخايرِ
وَإِذْ رِيسُ ما إِنْ كانَ في النَّاسِ مِثْلُهُ وَلَا مِثْلُ ذِي القُرَينِ أَبناءً عابِرِ

وَإِذا نَظَرنا في هذه الأشعارِ، سَنَجِدُ فيها الانْتِحالَ والوَضْعَ، وَأَنَّها نُسِبَتْ إلى غَيرِ قائِلِها؛ وذلكَ لأنَّ أَكثَرَ شِعْرِ امرئِ القيسِ وحَسانَ بنِ ثابتٍ مشكوكٌ فيه، لأنَّ لُغَةَ امرئِ جاءَتْ على لُغَةِ الشَّمالِ، أي الحِجازِ، وهو يَمَنِيٌّ مِنْ بَنِي كِنْدَةَ اليَمَنِيَّةِ، وأيضًا فيها الأسلوبُ القَصَصِيُّ الشَّبيهُ بما جاءَ في القرآنِ الكريمِ، وهو شِعْرٌ أَقْرَبُ إلى الرُّوحِ الإسلاميَّةِ، مِنْهُ إلى الرُّوحِ الجاهليَّةِ، وكذلك شِعْرُ حَسانَ بنِ ثابتٍ الَّذي رَأى الرُّواةُ الثَّقاةُ بَأَنَّهُ قَدْ حَمَلَ عَليهِ ما لَمْ يَقُلْهُ، كما يَرى العالِمُ القَدِّ في روايةِ الشَّعْرِ العَرَبِيِّ، وصِحَّتُهُ، ابنُ سَلامِ الجُمَحِيِّ، إذ يقول: " إنَّ مُحَمَّدَ بنَ إِسحاقَ بنِ يسارٍ مَنَّ أَفْسَدَ الشَّعْرَ وَهَجَّنَهُ، وَحَمَلَ كُلَّ غَناءٍ مِنْهُ، وكانَ مِنْ عُلَماءِ النَّاسِ بالسَّيَرِ، ويقولُ عَنِ نَفْسِهِ: " لا عِلْمَ لي بالشَّعْرِ، أَتَيْنا بِهِ فَأَحْمِلَهُ " وَلَمْ يَكُنْ ذلكَ لَهُ عُدْرًا " (الجُمَحِيُّ، د.ت).

ولِذا مُعْظَمُ الأشعارِ الَّتِي جاءَتْ مَبْنُوثةٌ في كُتُبِ الرُّواةِ والإخبارِ، لا تُؤخَذُ، ولا تُقْبَلُ دونَ مَنْ لَدَيْهِ دِرابةٌ في صِناعةِ الشَّعْرِ، ودونَ مَعْرِفَةٍ بِالرُّواةِ، والتَّنَبُّتٍ مِنْهُمْ، ناهيكَ عَن بَعْدِها عَنِ التَّدوينِ، فَهِيَ بَعيدةٌ عَمَّا حَدَّدَهُ عُلَماءُ الأدبِ وَرُواتُهُ، لأنَّ مُعْظَمَ ما قِيلَ مِنْ هذه الأشعارِ يَتجاوَرُ آلافَ السَّنِينَ، والشَّعْرُ الصَّحيحُ عِنْدَهُمْ لا يَصِلُ إلى مِئَتِي سَنَةٍ على الأَكثَرِ.

المَطْلَبُ الثَّانِي: ذو القُرَينِ عِنْدَ أَهْلِ النَثْرِ الفَعِّيِّ واللُّغَةِ

يَبْدُو أَنَّ العَرَبَ قَدْ أَصْرُوا على أَنَّ يَكُونُ " ذو القُرَينِ " عَرَبِيًّا، وَمِنْ حِمْيَرَ، كما رَأَيْنا ذلكَ في كَثِيرٍ مِنَ الأشعارِ الَّتِي لَمْ تَنْبُتْ صِحَّتُها، وَحاوَلُوا أَنْ يَجِدُوا لِهَذَا الرُّعْمِ أدْلَةً عِنْدَ أَهْلِ النَثْرِ وَأَصحابِ اللُّغَةِ، فَوَرَّ لَهُ ذِكْرُ في خُطْبَةٍ قُسَّ بنِ ساعِدَةَ الإيادي، إذ يقول: " يا مَعْشَرَ إِيادَ، أَيْنَ الصَّعْبُ ذو القُرَينِ، مَلِكُ الخافِقِينَ، وأَدَلُّ الثَّقَلَيْنِ، وَعَمَرُ آلَقَيْنِ، ثُمَّ كانَ كَلْخَطَةَ عَيْنِ " (ابن كثير، 1990، ج 2 ص 105). وَقَدْ أَطْلَعْتُ على كَثِيرٍ مِنَ المَصادِرِ والمراجِعِ، الَّتِي عُنيَتْ بِخُطْبَةِ قُسَّ بنِ ساعِدَةَ، فَلَمْ أَرُ هذه الأَقوالَ في الخُطْبَةِ؛ لأنَّ الخُطْبَةَ قَدْ رُوِيََتْ بِأَكثَرٍ مِنْ روايةٍ، وَعَليهِ، فَذِكْرُ " ذي القُرَينِ " مَنسُوبٌ إلى قُسَّ بنِ ساعِدَةَ الإيادي، ولا مَجالَ لِلتَّيَقُّنِ مِنْ أَنَّهُ قَدْ ذَكَرَهُ. وكذلك ما أَوْرَدَهُ صاحِبُ كِتابِ الحِوايِ مِنْ قَوْلِ غريبٍ عَن " ذي القُرَينِ " بِقَوْلِهِ: " وكذلك كانَ ذو القُرَينِ كانَتْ أُمُّهُ (فبري) آدميَّةٌ وأَبُوهُ عَبريٌّ مِنَ الملائِكَةِ. ولذلكَ لَمَّا سَمِعَ عُمَرُ بنُ الخَطَّابِ، رَضِيَ اللَّهُ تَعالي عَنهُ، رَجُلًا يُنادي: يا ذا القُرَينِ، فقال: أَفَرَعْنَمُ مِنْ أَسماءِ الأنبياءِ فَارْتَفَعْنَمُ إلى أَسماءِ الملائِكَةِ؟ (الجاحظ، 1965، ج 1، ص 188). وهذه المَقولَةُ لا أدري كيفَ نَقَلْها الجاحِظُ دونَ إِسنادٍ وَتَنَبُّتٍ، وفيها أَنَّ عُمَرَ بنَ الخَطَّابِ يَعْرِفُ أَنَّ هذا الاسمَ مِنْ أَسماءِ الملائِكَةِ، وَيَظْهَرُ أَنَّ الجاحِظَ قَدِ اسْتَهْوَتْهُ الرُّوايةُ فَنَقَلْها، وَهِيَ مِمَّا لا تَجورُ ولا تَصِحُّ، وكانَ الأولى بِالْجاحِظِ أَنْ يُعْلَقَ على صِدْقِها، وَيَميِّزَها.

وَوَرَدَ ذِكْرُ " ذِي الْقَرْنَيْنِ " فِي أَشْهُرِ الْمَعَاجِمِ اللُّغَوِيَّةِ، وَيُثْبِتُونَ شَخْصِيَّتَهُ وَاسْمَهُ، وَبَعْضًا مِنْ أَخْبَارِهِ، عِنْدَمَا كَانُوا يَسْرُدُونَ مَعَانِي الْمَادَّةِ اللُّغَوِيَّةِ الْمُخْتَلِفَةِ لِلْفُظَّةِ (الْقَرْنِ)، فَيَقُولُ أَحَدُهُمْ: " ذُو الْقَرْنَيْنِ الْمَوْصُوفُ فِي التَّنْزِيلِ: لَقَبٌ لِاسْكَنْدَرِ الرُّومِيِّ، سُمِّيَ بِذَلِكَ لِأَنَّهُ قَبِضَ عَلَى قَرْنِي الشَّمْسِ ... وَذُو الْقَرْنَيْنِ هُوَ الْإِسْكَنْدَرُ، سُمِّيَ بِذَلِكَ لِأَنَّهُ مَلَكُ الشَّرْقِ وَالْغَرْبِ " (ابن منظور، د.ت، مادة: قرن، ج13، ص 132، 133). وكذلك عِنْدَ الْفَيْرُوزِ أَبَادِي (2005).

وَيَبْدُو أَنَّ اللُّغَوِيِّينَ، كَغَيْرِهِمْ مَنْ الْمُفَسِّرِينَ وَالْمُؤَرِّخِينَ، قَدْ اعْتَمَدُوا عَلَى رِوَايَاتٍ تَارِيخِيَّةٍ إِخْبَارِيَّةٍ، فِي تَحْلِيلِ مَوَادِّهِمُ اللُّغَوِيَّةِ، وَاسْتِيفَاءِ مَعَانِي الشَّامِلَةِ لِلْمُفْرَدَةِ اللُّغَوِيَّةِ، مَعَ مُنَاقَشَةِ بَعْضِ الْآرَاءِ، وَلَكِنْ دُونَ تَحَرُّ لِدَقَّةٍ، وَهَذَا دَيِّنُ أَغْلِبِ الْمُصَنِّفِينَ الْأَقْدَمِينَ، وَإِنْ تَبِعَهُمْ فِي ذَلِكَ، كَثِيرٌ مِنَ الدَّارِسِينَ الْمُحَدِّثِينَ.

الخاتمة والناتج والتوصيات

بَعْدَ غَرْضِ الْآرَاءِ، وَمَا صَاحَبَهَا مِنْ نِقَاشَاتٍ وَقَبُولٍ وَرَفْضٍ، فَقَدْ خَلَصَتِ الدِّرَاسَةُ إِلَى جُمْلَةٍ مِنَ النَّتَائِجِ يُمَكِّنُ تَلْخِيصُهَا عَلَى النَّحْوِ الْآتِي:

أَوَّلًا: لَقَدْ غَالَى الْمُفَسِّرُونَ وَالْمُؤَرِّخُونَ الْأَقْدَمُونَ وَالْمُحَدِّثُونَ، فِي نُقُولَاتِهِمْ عَنْ بَعْضِهِمْ بَعْضًا دُونَ الْإِثْبَاتِ بِجَدِيدٍ، وَأَخَذَهَا السَّابِقُ عَنِ الْلاحِقِ كُمُسْلِمَاتٍ، أَوْ

ثَانِيًا: اعْتَمَدَ كَثِيرٌ مِنَ الْمُفَسِّرِينَ وَالْمُؤَرِّخِينَ عَلَى الْإِسْرَائِيلِيَّاتِ وَالْقِصَصِ الشَّعْبِيَّةِ الْخُرَافِيَّةِ، بِعِلْمٍ، أَوْ دُونَ عِلْمٍ، مَعَ تَحَرُّجٍ بَعْضُهُمْ مِنْهَا، وَلَكِنْ اِزْتَأَوْا إِثْبَاتَهَا.

ثَالثًا: جَاءَ التَّرْكِيزُ مُنْصَبًا عَلَى إِثْبَاتِ شَخْصِيَّةِ ذِي الْقَرْنَيْنِ، وَتَحْدِيدِهَا، أَكْثَرَ مِنَ التَّرْكِيزِ عَلَى الْغَايَةِ السَّامِيَّةِ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى لِقِصَّتِهِ، وَهُوَ عِنْدَ أَكْثَرِ الْمُصَنِّفِينَ الْأَقْدَمِينَ وَالْمُحَدِّثِينَ.

رَابِعًا: أَكْثَرُ الدَّارِسِينَ الْمُحَدِّثِينَ كَانُوا مُفَسِّرِينَ وَمُؤَرِّخِينَ، وَبَاحِثِينَ، وَقَدْ تَنَاسَى أَغْلِبُهُمُ الشُّرُوطَ الْإِلَازِمَةَ تَوَافُرُهَا فِي التَّفْسِيرِ خُصُوصًا.

خَامِسًا: قِصَّةُ ذِي الْقَرْنَيْنِ لَا تَحْتَاجُ إِلَى مِائَاتِ الصَّفَحَاتِ أَوْ آلَافٍ، مُعْظَمُهَا قَدْ بُيِّنَ عَلَى جَدَلٍ وَنِقَاشٍ، مِنْ أَجْلِ تَحْدِيدِ هُويَّةِ ذِي الْقَرْنَيْنِ، أَوْ تَحْدِيدِ مَكَانِ السَّدِّ، وَهُمَا مِنَ الْغَيْبِيَّاتِ الَّتِي اسْتَأْثَرَهَا اللَّهُ تَعَالَى لِنَفْسِهِ.

التوصيات:

تَوْصِي الدِّرَاسَةُ، أَخِيرًا، بِأَنْ يَتِمَّ التَّرْكِيزُ عَلَى قُدْرَةِ اللَّهِ تَعَالَى، وَالتَّفَكُّرِ بِعَظَمَتِهِ، دُونَ الْخَوْضِ بِأُمُورٍ غَيْبِيَّةٍ لَا طَائِلَ لِمَعْرِفَتِهَا، لِأَنَّ الدِّرَاسَاتِ حَوْلَ ذِي الْقَرْنَيْنِ، مُنْذُ الْقُرُونِ الْمُتَطَوِّلَةِ لَمْ تَصِلْ إِلَى نَتِيجَةٍ، تَرْضَى عَنْهَا النَّفْسُ، وَتَقْبَلُهَا الْعَقْلُ، وَتَسِيرُ ضِمْنَ الْمَنْهَجِ الْعِلْمِيِّ السَّلِيمِ.

ثَبَّتُ الْمَصَادِرَ وَالْمَرَاجِعُ

القرآن الكريم

- أَبُو الْفِدَاءِ إِسْمَاعِيلُ بْنُ كَثِيرٍ. (1990). البداية والنهاية. ج2، بيروت: دار المعارف.
- أَبُو الْفِدَاءِ إِسْمَاعِيلُ بْنُ كَثِيرٍ. (د.ت). تفسير القرآن العظيم. دار الفكر.
- أَحْمَدُ بْنُ أَبِي يَعْقُوبَ الْيَعْقُوبِي. (1964). تاريخ يعقوب. تقديم: محمد صادق بحر العلوم، العراق: النجف: منشورات المكتبة الحيدرية.
- أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ الثَّلَعِي. (2004). الكشف والبيان في تفسير القرآن. تحقيق: سيّد كسروي حسن، المجلد الرابع، بيروت: دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى.
- أَمْرُ الْقَيْسِ. (1990). ديوان امرئ القيس. تحقيق: حسن السندوبي. بيروت: دار إحياء العلوم، الطبعة الأولى.
- حاتم الهمدان. (2015). ذو القرنين النبي المصري الذي طاف بالعالم وعلم الناس الحضارة. لندن: إي كُتُب، الطبعة الأولى.
- حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ. (1971). ديوان حسان بن ثابت. تحقيق: وليد عرفات. بيروت: دار صادر.
- خالد سليمان الدولات. (1996). الشخصية في القصص القرآني: دراسة نقدية تحليلية لشخص مختارة. إشراف: عفيف عبد الرحمن. رسالة غير منشورة. الأردن: جامعة اليرموك.
- سيّد قطب. (د.ت). في ظلال القرآن. قسم تفسير القرآن، الناشر: دار الشروق.
- صلاح الخالدي. (2007). مع قصص السابقين في القرآن. دمشق: دار القلم، الطبعة الخامسة.
- عبد الرحمن بن الكمال السيوطي. (2011). الدر المنثور في التفسير المأثور. ج5، إشراف: دار الفكر، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

- عبد الرحمن بن محمد الثعالبي. (د.ت). جواهر الحسان في تفسير القرآن، بيروت: منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات.
- عبد الرحمن بن محمد بن خلدون. (2004). مقدّمة ابن خلدون. تحقيق: عبد الله الدرويش. توزيع: دار يعرب بدمشق، الطبعة الأولى.
- عبد العزيز الدوّري. (2000). نشأة علم التاريخ عند العرب. إصدارات مركز زايد للتراث والتاريخ.
- عبد الله بن عباس. (1992). تنوير المقياس من تفسير ابن عباس. دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى.
- عبد الملك أبو محمد ابن هشام. (1995). سيرة النبي محمد صلى الله عليه وسلم. تحقيق: مجدي فتحي السيد. دار الصحابة للتراث بطنطا، الطبعة الأولى.
- عمرو بن بحر الجاحظ. (1965). الحيوان. الجزء الأول. تحقيق: عبد السلام هارون، الطبعة الثانية.
- مجير الدين بن محمد العليمي. (2009). فتح الرحمن في تفسير القرآن. المجلد الرابع. تحقيق: نور الدين طالب، لبنان، دمشق: دار النوادر، الطبعة الأولى.
- محمد بن أحمد القرطبي. (2006). الجامع لأحكام القرآن. الجزء 13، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن وزميله، بيروت: مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى.
- محمد بن جرير الطبري. (2001). تفسير الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن. تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، القاهرة: دار هجر، الطبعة الأولى.
- محمد بن جرير الطبري. (د.ت). تاريخ الطبري: تاريخ الرّسل والملوك، ج15، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم. دار المعارف بمصر، الطبعة الثانية.
- محمد بن سلام الجُمحي. (1988). طبقات فحول الشعراء. تمهيد: جوزف هل. بيروت: دار الكتب العلمية، الطبعة الثانية.
- محمد بن صالح العثيمين. (1423). تفسير القرآن الكريم. الدّمّام: دار ابن الجوزي، الطبعة الأولى.
- محمد بن عمر الفخر الرازي. (1981). التفسير الكبير (مفاتيح الغيب). دار الفكر، الطبعة الأولى.
- محمد بن مكرم بن ابن منظور. (د.ت). لسان العرب. الجزء 13، مادّة (قرن) بيروت: دار صادر.
- محمد بن يعقوب الفيروز أبادي. (2005). القاموس المحيط. مادّة (قرن). إشراف: محمد نعيم العرقسوسي، بيروت- لبنان: مؤسسة الرسالة، الطبعة الثامنة.
- محمد بن يوسف أبو حيّان الأندلسي. (1993). تفسير البحر المحيط. تحقيق: الشيخ عادل عبد الموجود وزملائه. بيروت: دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى.
- محمد جواد مغنية. (2005). التفسير الكاشف. المجلد الخامس. العراق- الكاظمية: دار الكتاب الإسلامي، الطبعة الرابعة.
- محمد حسين الذهبي. (2000). التفسير والمفسرون. القاهرة: مكتبة وهبة.
- محمد خير رمضان يوسف. (1994). ذو القرنين القائد الفاتح والحاكم الصالح. دمشق: دار القلم، بيروت: الدار الشامية، الطبعة الثانية.
- محمد راغب الطباخ. (2003). ذو القرنين وسدّ الصّين. تقديم: مشهور بن حسن. الكويت: دار غراس للنشر والتوزيع والدّعاية، الطبعة الأولى.
- محمد فريد وجدي. (1971). دائرة معارف القرن العشرين. الجزء الأول. بيروت: دار المعرفة، الطبعة الثالثة.
- محمد متولي الشعراوي. (1990). تفسير الشعراوي: (خواطري حول القرآن). الناشر: أخبار اليوم.
- محمود بن عمر الرّمخشي. (د.ت). الكشّاف. شرح: يوسف الحمادي، الناشر: مكتبة مصر.
- محمود شهاب الدين الألوسي. (د.ت). روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني. بيروت - لبنان: دار إحياء التراث العربي.
- معين الدين محمد الإيجي. (2004). جامع البيان في تفسير القرآن. تحقيق: عبد الحميد هنداي، بيروت: دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى.
- مقاتل بن سليمان الأزدي. (2002). تفسير مقاتل بن سليمان. الجزء الثاني. تحقيق: عبد محمود شحاتة. لبنان - بيروت: مؤسسة التاريخ العربي، الطبعة الثانية.
- منصور عبد الحكيم. (1980). ذو القرنين الملك العادل الذي طاف بالأرض. دمشق، القاهرة: دار الكتاب العربي.
- ناصر مكارم الشيرازي. (2013). الأمثل في تفسير كلام الله المُنزل. الجزء 14، بيروت- لبنان: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، الطبعة الأولى.
- وهب بن منبه. (1347). التيجان في ملوك حمير. تحقيق: مركز الدراسات والأبحاث اليمنية، صنعاء، الطبعة الثانية.
- ياقوت بن عبد الله الحموي. (1977). معجم البلدان. المجلد الأول. بيروت: دار صادر.